آثار صُوفِيَّة فِي شِعْرِ الـمُتَنَبِّي

دكتـــور

مُحَمَّد أَبُو الـمَجْدِ عَلِي مُحَمَّد

الأُسْتَاذُ الـمُسَاعِدُ بِقِسْمِ الدِّرَاسَاتِ الأَدَبِيَّةِ

كُلِّيَّة دَار العُلُوم - جَامِعَة الفَيُّوم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

آثار صوفية في شعر المتنبي

١ – لم يكن المُتَنَبِّي صوفيًا، وليس – فيما يُعرف عنه – من الصوفية في شيء؛ لكن الأثر الصوفي في شعره – وهو ما يفترضه هذا البحث – لا يقل بحال عن الآثار الأخرى التي التفت إليها الدارسون – كالتشيع والفكر الفلسفي – وأولوها جل اهتمامهم. وهذا الأثر لا يقف – فيما يفترض البحث كذلك – عند المضمون فحسب؛ وإنما يمتد ليشمل – فيما يشمل – كل جوانب التجربة الإبداعية لديه.

ويدعم هذين الافتراضين إشارات مقتضبة، لم يولها القدماء عنايتهم – كعهدنا في كثير من الأحيان بهم – فيشبعوا تلك الإشارات المقتضبة بما ينبغي لها – وهي من الخطورة بمكان – من التفصيل، ولم يلتفت إليها – فيما اطلعت عليه – إلا قلة من الدارسين المحدثين، فظلت – في رأيي – دونما اختبار جاد؛ يسعى إلى التحقق منها، ويحيلها إلى نتائج يمكن تطبيقها – أو بالأحرى ما صح منها – وتحليلها – إلى عناصرها الأولى – وتفسيرها في آن.

من هذه الإشارات ما نجده عند معاصره الصَّاحبِ بنِ عَبَّادٍ – على ما كان بينهما – " قال الصاحب: ولو وقع قوله:

نَحْنُ مَنْ ضَايَقَ الزَّمَانُ لَهُ فِيـ ـكَ وَخَانَتْهُ قُرْبَكَ الأَيَّامُ

في عبارات الجُنَيْدِ وَالشِّبْلِيِّ لتنازعته المتصوفة دهرًا بعيدًا " [١]. لأنه بكلامهم أشبه. وفي "يتيمة الدهر"[٢] للثَّعالِبِيِّ– وقد رصد على طريقته في التبويب مآخذ النقاد عليه –: "ومنها امتثال ألفاظ المتصوفة، واستعمال كلماتهم المعقدة، ومعانيهم المغلقة". ثم ساق أمثلة على ذلك، ونقل كلمة الصّاحبِ في القدح عليه. وفي " الصبح المنبي عن حيثية المُتَنَبِّي "[٣] – وفي تعليق له كذلك على بعض شعره –: " قال العَمِيدِيُّ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

متهكمًا: هذه الألفاظ إذا سمعها الصوفية تواجدوا عليها لمجانستها كلامهم". ونقل العَكْبَرِيُّ – في شرح بيت له – عن ابنِ جِنِّي قوله: " وجاء به من طراز كلام المتصوفة"(٤). وساق من شعرهم الدليل عليه، ونقله الواحِدِيُّ – كما أشار العَكْبَرِيُّ – في شرحه لشعر المُتَنَبِّي حرفًا فحرفًا. وقال الخَطِيبُ التَّبْرِيزِيُّ – في شرحه لبيت آخر من شعر المُتَنَبِّي ونص عليه العَكْبَرِيُّ –: " هو من كلام الصوفية "(٥). ثم علق قائلاً: " وهذا يدل على أنه كان متصرفًا في أفانين الكلام ".

وإذا كان الرمز هو السمة البارزة في أشعار المتصوفة فقد جاراهم المُتَنَبِّي – كما يُفهم من كلام العَكْبَرِيِّ: – " وأودع كلامه رمزًا خفيًّا "(٦). ودلت أشياء في ديوانه – كما يقول أبو العَلاءِ – على " أنه كان متألهًا "(٧).

تلك إشارات عابرة؛ رددها القدماء – في معرض القدح أو المدح – وتناقلتها مصادر متعددة، لم تخرج بها – كما رأيت – عن هذا السياق، ولم يقف عندها المحدثون طويلاً – باستثناء ما صنعه الدكتور شوقي ضيف في كتابه "الفن ومذاهبه في الشعر العربي" (٨) – للتأكد من صحتها، والنظر – خلالها – في مسائل شائكة؛ تتعلق بـ"الإغراب" و "التعقيد" في شعر المُتَنَبِّي، وطبيعة أسلوبه وخياله ومعجمه وإيقاعه، وغيرها من جوانب هذا الفن. وقد استوقفتني وأنا أقرأ هذا الشعر – المرة تلو المرة – وأحاول على هديها – تفسير ما قد يعن لي – أثناء تلك القراءة – من مشكلات؛ فكشفتْ عن أشياء ما كانت لتتكشف لي بدونها، وحفزتني – مع ما وجدته لدى الدكتور شوقي ضيف في حديثه عن " تصنع المُتَنَبِّي لمصطلحات التصوف وأفكاره " وتصنعه كذلك " للعبارة الصوفية وشاراتها " – لدراسة هذا الموضوع دراسة مستقلة؛ تنظر في صلة المُتَنَبِّي بالمتصوفة، ومدى تأثره بهم – وهو ما أفترضه بدايةً – في شعره، وتتتبع – في أناة – تلك الآثار – محللة ومعللة –

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ونترصد – كما ينبغي لها – النتائج في ضوء المقدمات، فكان – من ثم – هذا البحث، وكانت – على تواضعها – تلك الصفحات.

٢ – نشأ المُتَنَبِّي – نشأته الأولى – في العراق – وهي النشأة الكفيلة في رأيي بتطبع شخصيته وتشكل أبعادها الاجتماعية واكتسابه لها – وقضى به شطرًا من عمره – قبل انتقاله إلى البادية وتجوله بالآفاق – والعراق معقل من معاقل التصوف الرئيسة في عصره – وبخاصة بغداد التي دخلها أكثر من مرة – وارتبطت به أسماء – هي بمثابة العلامات البارزة في تاريخ التصوف – كالجُنَيْدِ – في القرن الثالث الهجري – وأبي حَمْزَةَ البَغْدَادِيِّ، والسَّرِيِّ السَّقَطِيِّ – " خال الجُنَيْدِ وأستاذه وتلميذ مَعْرُوفٍ الكَرْخِيِّ، وهو أول من تكلم في التصوف في بغداد "[٩] – وسَهْلِ التُّسْتَرِيِّ – وقد انتهت إليه زعامة التصوف في بغداد "وفي عهده تقارب الفقهاء والمتصوفة وإليه تنسب المدرسة السلمية وهي المدرسة الوسطى في المنهج الصوفي"[١٠] – وأبي سَعِيدٍ الخَرَّاز – وهو "من أهل بغداد وصحب ذا النُّونِ والسَّقَطِيَّ والحافِيَ، وقيل إنه أول من تكلم في الفناء والبقاء"[١١] – وقبل هؤلاء جميعًا إمام التابعين الحَسَنُ البَصْرِيُّ – ويعده بعض الدارسين رأس التصوف بالعراق – وسَعِيدُ بنُ المُسَيَّبِ، ورَابِعَةُ العَدَوِيَّةُ، وعَبْدُ اللهِ بنُ المُبارَكِ، والفُضَيْلُ بنُ عِياضٍ. وعاصره – في القرن الرابع الهجري – الشِّبْلِيُّ – وهو من هو منزلة بين المتصوفة على الإطلاق – وأَبُو الحَسَنِ الحُصَرِيُّ – " وكان شيخ الصوفية في العراق ولم يُرَ مثله في زمانه"[١٢] – والسَّرَّاجُ الطُّوسِيُّ – صاحب "اللمع" – وجَعْفَرُ الخَوَّاصُ.

ولا شك أن مبادئ هؤلاء وسيرهم – أو في الأقل ما كان يدور حول بعضهم من الأخبار – كانت ملء سمعه – وفيهم من قد عاصره ومنهم من كان قريب عهد به – وتحت بصره وناظريه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد التحق في الكوفة – منذ نعومة أظفاره – بالمكتب العلوي، وتلقى فيه – بالإضافة إلى علوم العربية والإسلام – شيئًا من فكر الشيعة، ومعلوم الصلة بين التصوف – منذ نشأته الأولى ثم اتجاهه نحو الفلسفة فيما بعد – والتشيع، وبينهما معًا وبين السياسة وما جرته على العلويين – في العصرين الأموي والعباسي – من الويلات، وقد وجد فيه بعضهم نوعًا من التعويض السلبي عما حاق بهم من الإخفاق.

وكان المُتَنَبِّي على صلة بهؤلاء العلويين – وقد أرضعته واحدة منهم [١٣]، وذهب الشيخ محمود شاكر إلى أنه كان علويًا، وأنه ثار من أجل تلك العلوية وسجن بسببها لا بسبب ادعاء النبوة كما زعموا [١٤]، وشك آخرون في نسبه وفيما دار حول أصوله القبلية من الروايات القديمة والأخبار – وإن لم تخل صلته بهم – كما يصور شعره وسيرته – من الارتطام، وأتيح له – في المكتب العلوي – الالتقاء بأبي الفَضْلِ الكُوفِيِّ – وهي شخصية غامضة أشار إليها البَغْدَادِيُّ [١٥]، وربط بلاشير بينها وبين اتجاه المُتَنَبِّي نحو القرمطية في زعمه وتأثر به في ذلك آخرون [١٦] – وتلقى على يديه بعض مبادئ الفلسفة، وعرف – ربما للمرة الأولى – شيئًا منظمًا عن التصوف والفكر الصوفي.

وقد ترك أبو الفَضْلِ هذا أثرًا واضحًا في عقلية المُتَنَبِّي ونفسيته – أو في شخصيته إن شئت – وظهر بعض ملامح هذا التأثير في مدحته – التي احتفظ لنا بها الديوان من شعر طفولته وصباه [١٧] – له، وممن لاحظ هذا الأثر ودل – فيمن دل – عليه أبو القاسِمِ الأَصْفَهانِيُّ؛ فقال: "وكان في صغره وقع إلى واحد يكنى أبا الفَضْلِ بالكوفة من المتفلسفة، فهَوَّسَهُ وأضله كما ضل" [١٨].

ولا عليك أن يكون أضله كما ضل، فهذا حكم قد تتحكم في إصداره – كما هو ملحوظ في كثير من الأحيان – المذهبية واختلاف المشارب والنزعات؛ لكن انظر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كيف هؤلاء – على حد تعبيره – فجعله – كما يُفهم منه – وكأنه قد أصيب – كسائر هؤلاء (المجاذيب) – بالاختلال.

٣ – انطلق المُتَنَبِّي – بعد رحيله عن الكوفة – نحو الشام، وتنقل – قبل التقائه بسَيْفِ الدَّوْلَةِ وإقامته عنده زمناً في حلب – بين عدد غير قليل من البلدان، وفي لبنان – أو ما نسميه الآن بهذا الاسم – أتيح له الاتصال – وكان إذ ذاك في الرابعة والعشرين من العمر – بأبي عَلِيٍّ هارُونَ بنِ عَبْدِ العَزِيزِ الأَوْرَاجِيِّ الكاتب، وكان أبو عَلِيٍّ هذا "يذهب إلى التصوف" – كما يقول العَكْبَرِيُّ [١٩] – وهو أحد رجال المتصوفة في عصره، وله ذكر – كما أشار ماسينيون – في قصة الحَلاج [٢٠]، وقد مدحه المُتَنَبِّي وهو مقيم بكنفه [٢١]، "واتصاله به ومديحه يدل على أنه لقنه مبادئ المتصوفة " فيما يرى الدكتور شوقي ضيف [٢٢] – وإن ذهب إلى أن اتصاله به كان في بغداد قبل رحيله إلى الشام – وشعره فيه يعج – على ما سوف ترى – بفكر القوم ومصطلحاتهم وإشاراتهم، وهو لا يختلف – في رأيي – عن شعر المتصوفة في شيء.

ويرد اسم مُحَمَّدِ بنِ القَاسِمِ الصُّوفِيِّ في قصة مدحه لطَاهِرِ بنِ الحُسَيْنِ العَلَوِيِّ – نُزُولاً على أمر الأمير أبي مُحَمَّدٍ الحَسَنِ بنِ عُبَيْدِ اللهِ بنِ طُغْجٍ والي " الرملة " من قبل الإخْشِيدِ، وكان المُتَنَبِّي قد رحل إليه سنة ٣٣٥ هـ ومدحه فأبى عليه إلا أن يخصَّ هذا العلوي بقصيدة يمدحه بها كما مدحه – وفيها أنه كان يجتمع معه عند الإفطار " في كل ليلة من شهر رمضان "، وهو الذي حمل إليه – كما روى البَدِيعِيُّ الخبر مفصلاً [٢٣] – رسالة طاهِرِ بنِ الحُسَيْنِ، واصطحبه إلى داره، واستمع – فيمن استمع – إلى مدحه له. وقد أرسله الأمير ابنُ طُغْجٍ – في خبر آخر [٢٤] – إلى المُتَنَبِّي حين قدم إلى " الرملة " – يدعوه إليه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويلتقي في مصر – أثناء نزوله على كافُورِ الإِخْشِيدِيِّ – بأَبِي بَكْرٍ المُوَسْوِس – المعروف بـ " سِيبَوَيْه " (٢٥) – ويقبل منه ما لا يقبله – أو يحتمله – من غيره؛ أن ينقد شعرًا له – دون أن يغضب كعادته أو يثور – يقول الخبر: "... واجتاز المُتَنَبِّي به فوقف عليه وقال: أيها الشيخ! أحب أن أراك. فقال له: رعاك الله وحياك. فقال له: بلغني أنك أنكرت عليَّ قولي: عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُّ، فما كان الصواب عندك؟ فقال: إن الصداقة مشتقة من الصدق في المودة، ولا يسمى الصديق صديقًا وهو كاذب في مودته، فالصداقة إذن ضد العداوة ولا موقع لها في هذا الموضع، ولو قلت: ما من مداراته أو مداجاته لأصبت... فتبسم المُتَنَبِّي وانصرف وسِيبَوَيْه يصيح عليه: أُبْكِمَ الرجل وجلال الله " (٢٦).

وكأني به – على عظمته وجلالة قدره وشدة اعتداده بنفسه وما قد صار بعد هذا العمر الطويل إليه من الشهرة في كل مكان – يقف بين يدي هذا الموسوس موقف التلميذ من الأستاذ، غير مستنكف – في حضرته – من التعلم – أو التبصر – للوصول إلى الصواب. وكان بمصر – في عصره – كثير من أمثال أبي بَكْرٍ، ولم يكن ببعيد عنه ما يثار – من الجدل أو الأخبار – حول أعلام الصوفية فيها؛ كذِي النُّونِ المِصْرِيِّ، وهو " أول من تكلم في مصر في الأحوال ومقامات أهل الولاية" (٢٧). ويعد – في رأي بعض الدارسين– "رأس المدرسة الصوفية المصرية على مرور الأجيال" (٢٨)؛ فكلٌّ " قد أخذ عنه وانتسب إليه... وهو أول من فسر إشارات الصوفية وتكلم في هذا الطريق" (٢٩). ولم يكن – حين قدم المُتَنَبِّي إلى مصر بعد رحيله بما يقرب من مائة عام – قد غاب – أو غابت سيرته ومبادؤه وأفكاره – عن الأذان، ولم تخل الساحة بعد من تلاميذ له يسيرون على نهجه ويسلكون – حسبما يعتقدون – الطريق على هداه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٤ – وكان الـمُتَنَبِّي يتشبه – في بعض الأحيان – بهم؛ فيتخذ من الثياب أبسطها – في زمن يقيم فيه الناس أنفسهم على الوسام – أو ما لا يليق – في رأي كثير ممن يحيطون به – بما قد وصل إليه من المكانة والثراء؛ فهذا أبُو عَلِيٍّ الفَارِسِيُّ – وهو من الأخبار النادرة التي عني فيها الرواة بوصف زيه وثيابه – يزدريه – قبل أن تتوثق علاقته به – لسوء مظهره وغرابة هيئته وردائه – مع ما أخذ به نفسه من التعاظم والكبرياء – يقول الخبر: "وكان أبُو عَلِيٍّ الفَارِسِيُّ إذ ذاك بشيراز، وكان ممر الـمُتَنَبِّي إلى دار عَضُدِ الدَّوْلَةِ على دار أبِي عَلِيٍّ الفَارِسِيِّ، وكان إذا مرَّ به أبو الطَّيِّبِ يستثقله على قبح زيه وما أخذ به نفسه من الكبرياء" (٣٠). ففبح الزي – أو بالأحرى ما يفهم منه من قلة اعتداد صاحبه بالشكل – لم يحل بينه وبين إحساسه – بل شدة هذا الإحساس – بالذات، فهي الجوهر الذي صرفه – كما رأيت – عن الأعراض.

وكانت فيه – على شدة هذا الاعتداد بذاته – من أخلاق الصوفية ما شهد له بها من عاشره ورآه؛ "حكى عَلِيُّ بنُ حَمْزَةَ قال: بلوتُ من أبي الطَّيِّبِ ثلاث خلال مجموعة؛ وتلك أنه ما كذب ولا زنى ولا لاط " (٣١). وكان يقول عن نفسه – في آخر ما مدح به ابنَ العَمِيدِ–:

لَنا مَذْهَبُ العُبَّادِ فِي تَرْكِ غَيْرِهِ وإتْيَانِهِ نَبْغِي الرَّغائِبَ بالزُّهْدِ (٣٢)

و(العُبَّادُ) هم أهل الطريقة – وفيه دلالة على أنه كان يحاول أن يحتذي في بعض الأحيان بهم – ممن شغلهم الزهد عن الدنيا، فسيقت لهم رغائبها – دون تكالب منهم عليها – ونالوا به ما نالوه.

وقد تلحظ معي – كما لحظ الأقدمون – وجود شبه – لا يطرد على الدوام – بين اللحظة الإبداعية عنده، ولحظات الوجد – حيث يغيب العقل إلى حين – أو

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السكر الصوفي – إن جاز لي هذا التعبير – فيصدر عنه – كما يصدر عن المجذوب – ما يدفع شراح شعره إلى وصفه – فيما وصفوه – بـ " الهوس " ونحوه، كما صنع العَكْبَرِيُّ وهو بصدد قوله:

وَيُنْفِذُهُ في العَقْدِ وهو مُضَيَّقٌ مِن الشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ وَاللَّيْلُ مُسْوَدُّ

يعني جودة رمي الممدوح؛ حيث علق قائلاً: " وليس في إنفاذ الرمي في عقدة من شعر في ليل مظلم أول محال ادعى للممدوح، وما هو إلا هوس عرض له فقذفه"(٣٣). ويقول الشيخ يُوسُفُ البَدِيعِيُّ – فيما عدده عليه من معائب شعره –: " ومن مشبه إياه بمن يقدم مائدة تشتمل على غرائب المأكولات وبدائع الطيبات، ثم يتبعها بطعام وضر، وشراب عكر، أو من يتبخر بالند المعشب المثلث المركب من العود الهندي والمسك الأصهب والعنبر الأشهب، ثم يُرَنِّقُهُ بإرسال الريح الخبيثة، ويفسده بالرائحة الردية، أو بالواحد من عقلاء المجانين؛ ينطق بنوادر الكلم وطرائف الحكم، ثم تعتريه سكرة الجنون، فيكون أصلح أحواله وأمثل أقواله أن يقول: اعذروني فإن العذرة متعذرة "(٣٤).

وهو يشير إلى عدم استواء شعره – داخل القصيدة الواحدة – وتفاوته – في رأي هؤلاء النقاد – بين الجودة والضعف؛ لكن انظر إلى تشبيههم له – وقد لمسوا عن قرب تلك الصلة الظاهرة – بالواحد من "عقلاء المجانين"؛ لا يمكنه– عند النطق– عرض كلامه على وتيرة واحدة. ولست أزعم أن المُتَنَبِّي كان من هؤلاء المجانين العقلاء؛ بل لم يكن – كما ذكرت بداية – من الصوفية بأي حال من الأحوال، وإنما هي صلة ربطته بهم فتركت أثرها – بل آثارها – في شعره – وهو ما أسعى ههنا للتحقق منه – وفي شخصيته على السواء.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٥ – هذه الصلة بين الـمُتَنَبِّي والصوفية لمسها – فـيمن لمـسها – محمـود شاكر؛ فقال في دراسته للقسم الأول من شعره – وهو حصيلة ما أبدعه في صباه –: " وقد كان في هذا القسم من شعره يلجأ إلى الأساليب الفلسفية في استخراج المعـاني وتوليدها، وكان يكثر من التقسيم الفلسفي، والتوجيه المنطقي، وغيـره مـن كـلام المتفلسفة والمتكلمة والمتصوفة والمتزندقة أيضًا؛ حتى فسدت معاني شعره، فلـذلك كان أكثر ما تجد من ساقطه ومرذوله – مما عابـه عليـه النقـاد وخاصـمه بـه المتعصبون عليه – هو من هذا القسم الذي قاله في صباه " (٣٥). فوقف – كما ترى – من تلك الصلة – وما استتبعها من تأثير في شعره – على المرحلة الأولـى مـن عمره – من الناحية الزمنية – وعلى الجانب السلبي – دون أن يتعداه إلى الإيجابيات – في ناحية الفن. وظهرت آثار رؤيته في تحليله لنص واحد مـن نـصوص تلـك المرحلة؛ وهو قصيدته في مدح أبي الفَضْلِ الكُوفِيِّ، فجاء فيه مثل هذه التعبيـرات: "وهذا من ألفاظ الصوفية"(٣٦)، و"اللفظ الأخير خاصة دليل علـى تـأثره بالمعـاني الفلسفية والصوفية، وهذه هي التي أخرجت له هذا الخيال السخيف"(٣٧).

والدكتور طه حسين – وكتابه يلي من الناحية الزمنية كتاب الشيخ محمود شاكر – في وقفته مع نص كذلك من نصوص ديوانه لجأ فيه إلى الرمز؛ وهي قصيدته في الأُوْرَاجِيِّ "التي يعمد فيها الشاعر إلى المذهب الرمزي ليرضي ممدوحه الذي كـان يذهب مذهب التصوف، وهي من هذه الجهة قيمة؛ لأنها تبين عن علم الـمُتَنَبِّي في الخامسة والعشرين من عمره بمذاهب المتصوفة في الكلام ومـنهجهم فـي الرمـز والإيماء، ولأنها تظهر لنا الشاعر الفتي وقد ملك ناصية الفن حقًّـا، واسـتطاع أن يصرفه كما يشاء ويهوى، دون أن يجد مقاومة وامتناعًا، ولأنها بعد هذا وذاك تكشف لنا عن براعة الـمُتَنَبِّي لا في هذا النحو من التكلف الفني الذي كان مألوفًا في ذلـك العصر والذي كان يعتمد قبل كل شيء على أوجه البديع بل في تكلف آخر لم يكـن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مألوفًا إلا عند المتصوفة والباطنية الذين يقصدون بالألفاظ والمعاني غير ما يفهم منها أصحاب الظاهر من عامة الناس وخاصتهم"(٣٨).

ودراسته لهذا الجانب تهدف – كما صرح به – إلى الإبانة عن علم الـمُتَنَبِّي – وهو في مقتبل عمره – بمعارف عصره – ومنها ما يتعلق بالصوفية – وتكلفه – على نحو جديد لم نعهده لدى شعراء البديع – لطريقة المتصوفة في التعبير، وتأثره بهم – وبالباطنية عامة – في هذا الجانب. وقد تلقف عنه هذا الخيط – على ما يبدو – الدكتور شوقي ضيف – وهو ثالث من نشير إليه – فأفرد الـمُتَنَبِّي بفصل كامل – ذيله بشاعرين آخرين من شعراء اليتيمة؛ هما أبو فِراسٍ الحَمْدانِيُّ والشَّرِيفُ الرَّضِيُّ – في كتابه "الفن ومذاهبه في الشعر العربي"(٣٩)، فَصَّلَ فيه القول – على نحو غير مسبوق – فيما أسماه بـ (التصنع) – ويعني به التكلف للثقافات المختلفة – في شعره، وقد حظي التصوف بمحورين أساسيين من محاور هذا الفصل – من جملة محاوره العشرة – تناول في الأول منهما " تصنع الـمُتَنَبِّي لمصطلحات التصوف وأفكاره "، وجعل الثاني لـ " تصنع الـمُتَنَبِّي للعبارة الصوفية وشاراتها ".

وهو ينطلق في هذين المحورين من وجود صلة – هي تلك التي سعيت في هذا التمهيد لإثباتها – لم يذكر لنا تفاصيلها – بل انطلق من كونها حقيقة واقعة – تركت أثرًا في أسلوب الـمُتَنَبِّي – وهو الجانب الذي شغل به أكثر من غيره – وهذا الأثر هو الدليل – فيما يرى – على تصنعه لثقافة عصره؛ "وهي ثقافة واسعة، يمتزج فيها التشيع والتصوف والفلسفة"(٤٠) كما يقول.

ونقرأ فيما قاله– ونحن بصدد الاستدلال على تلك الصلة– عبارات كتلك: "نشأ في الكوفة، وتربى في مدرسة العلويين، ودرس الفلسفة على أبي الفَضْلِ الكُوفِيِّ، والتصوف على الأُورَاجِيِّ"(٤١). و"اقرأ هذه الأبيات التي يقولها في بعض ممدوحيه... فإنك تحس بأنك بإزاء شاعر صوفي يصوغ معانيه صياغة صوفية"(٤٢). و "من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يرجع إلى رسالة القُشَيْرِيِّ ثم يعود إلى ديوان الـمُتَنَبِّي يجده يستوفي كثيـرًا مـن اصطلاحات القوم وألفاظهم"(٤٣). و"كأن شاعرًا من شعراء الصوفية هو الذي يؤلـف هذه الأبيات؛ فقد تغلغلت فيها الأفكار الصوفية"(٤٤). و" لعل القارئ يعجب إذا قررنا أن الـمُتَنَبِّي هـو خير شاعر يصور لنا أساليب المتصوفة في القرن الرابع، وأنـه يبلغ من ذلك ما لا يبلغه الحَلاّجُ والشِّبْلِيُّ والجُنَيْـدُ وغيـرهم مـن متـصوفة هـذا القرن"(٤٥).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١

أفكار ورؤى ومضامين صوفية

أ – العشق:-

لم يُشغل الـمُتَنَبِّي – على غير المعتاد – بحب النساء، ولـم يتغـزل بـامرأة معروفة – شأن كثير من الشعراء – في شعره، ولم يتوله – كغيره – بهن ويـصوغ في التذلل إليهن – والمثول بين أيديهن – الأشعار؛ فللخود منه ساعة – يلهو بهـا – ثم بينه وبينها فلاة يقطعها – صباح مساء – إلى المجد:

وللخَوْدِ منِّي ساعَـــــةٌ ثـم بينَنـا فلاةٌ إلى غيـرِ اللقـاءِ تُجـــابُ
ومـا العِشْقُ إلا غِـــــرَّةٌ وطَماعَـةٌ يُعَـرِّضُ قَلْـبٌ نَفْـسَهُ فتُـصـابُ
وغيرُ فُـــؤادِي للغَـوانِي رَمِيَّـــةٌ وغيرُ بَنَانِي للرِّمـــاحِ رِكـابُ (١).

فهؤلاء الغواني – في نظر خبير مثله – "ضِياءٌ في بَواطِنِهِ ظَلامٌ" (٢)، والغـدر في أخلاقهن – مع هذا الحسن الظاهر – طبعٌ أصيل، وما سـواه – مـن التظـاهر بالوفاء ونحوه – مجرد قشرة يتجملن بها في عيون من تصطاد حبائلهن من الرجال:

إذا غَـــدَرَتْ حَسْناءُ وَفَّتْ بعَهْدِها فمنْ عَهْدِها أنْ لا يَدُومَ لها عَهْدُ (٣).

وما ذكره الشيخ شاكر – رحمة الله عليه – من حبه – فيما زعم – لأخت سَيْفِ الدَّوْلَةِ (٤) افتراض لم يستطع – مع اجتهاده – أن يقيم الدليل عليه. ولم يكن الـمُتَنَبِّي شاذًّا – مع قسوته تلك – في نظرته إلى المرأة، ولم يُعرف عنه – في سلوكه بصفة عامة – الالتواء أو الانحراف، ومن يتصفح ديوانه لا تخطئ عينه – منـذ اللحظـة الأولى – لغة الحب التي تتغلغل في سائر موضوعاته – حتى ما كان متصلاً منهـا بالحرب – وفي مقدمات قصائده – برغم ما قيل عن تصنعه للنسيب – وهـي لغـة تعلو – في رأيي – عن وصفها – مهما قيل في هذا الصدد – بـالتكلف والافتعـال،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويتبدى معها الرجل – ذو القلب الصخري والمشاعر الفولاذية – عاشقًا لا يقل في عشقه عن غيره من العشاق، ولكنه عشق من نوع آخر، ليس هو العشق المعروف إلى المرأة، وإنما – وليس فيما أقول تناقض على الإطلاق – عشق الصوفي الذي انصرف بكيانه ومشاعره كلها نحو الذات العلية، فلم ير – في كل جميل أو حسن يراه – غير الله، ولم تجمح به العواطف نحو الحس؛ فلا تهتك في غزله – حتى كذلك الذي نراه عند شعراء الصوفية أنفسهم – ولا جموح – إلا فيما ندر – نحو تتبع الأعضاء – من الفم إلى ما قد تشاء – ولا عبث ولا مجون، ولا خلاعة في وصفه للمحبوب، ولا ما يخدش – من قريب أو بعيد – أو يمس – كما مس لدى غيره – الحياء، وإنما هو الحب في أسمى صوره وأرق معانيه، نراه في مدحه ونسيبه وفخره وعتابه، بل نراه كذلك في موضوعات هي بعيدة – من ناحية الظاهر – عن الغزل؛ كالهجاء أو الرثاء.

أسمعه فأشعر أني أسمع رابِعَةَ العَدَوِيَّةَ وهو يقول في مدحه – آخر ما قال من الشعر –:

أَرُوحُ وقد خَتَمْتَ على فُؤادِي ... بِحُبِّكَ أن يَحِلَّ به سِواكا (٥).

فقد امتلك المحبوب كيانه – كما امتلك كيان رابِعَةَ – وملك عليه قلبه – فيما يُعرف لدى الصوفية بـ " التخلي والتحلي"؛ أي تخلية القلب من كل شيء غير الله، وتحليته بعد هذا التخلي به – فلم يعد يحب سواه. وفيها – وقد امتد استلاب القلب إلى سائر الأعضاء –:

ولو أنِّي استطعتُ خَفَضْتُ طَرْفِي ... فلم أُبصِرْ بهِ حَتَّى أراكا.

ومثل هذه النغمة نراها في قوله معتذرًا إلى بَدْرِ بْنِ عَمَّارٍ:

لم نَرَ مَنْ نادَمْتَ إلَّاكا ... لا لِسَوَى وُدِّكَ لِي ذاكا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولا لِـحُبِّيهـــــا ولكنَّنِـــي أمسَيْتُ أَرْجُـــوكَ وَأَخْـشاكا (٦).

وكان بَدْرٌ قد دعاه إلى الشراب فنزل مضطرًّا على أمره. ويصل الـمُتَنَبِّي إلـى حد (الفناء)- كالصوفي- في حبه، فلا يرى إلا بعيني من يحب، ولا يود - وقد صار منه بمنزلة الخليل - إلا بقلبه:

ما الخِلُّ إلاَّ مَـــــنْ أَوَدُّ بقَلْبِهِ وأَرَى بطَرْفٍ لا يَرَى بِسَوائِـهِ (٧).

ويقسم به:

فوَ مَـنْ أُحِبُّ لأَعْصِيَنَّكَ في الهَوَى قَسَمًا بـــــه وبحُسْنِهِ وبَهائِـهِ (٨).

ويعوذ به ويلوذ إليه:

يا مَنْ أَلُوذُ بـــــهِ فيمـا أُؤَمِّلُـهُ ومَنْ أَعُوذُ بـــهِ مِمَّـا أُحـاذِرُهُ (٩).

ويقنع منه بالقليل، فقليله كثير لديه:

وقَنَعْتُ باللُّقْيـا وأَوَّلِ نَظْـــــرَةٍ إنَّ القَلِيلَ مـن الحَبِيـبِ كَثِيـرُ (١٠).

ويغنى به عمن سواه:

إذا نِلْتُ مِنْكَ الـــــوُدَّ فالمالُ هَـيِّنٌ وكلُّ الذي فوقَ التُّـرابِ تُـرابُ (١١).

ويكتم حبه حتى عنه:

كَتَمْتُ حُبَّكَ حَتَّى مِنْـكَ تَكْرِمَـــةً ثم استَوَى فيكَ إسْـــرارِي وإعْلانِـي
كأنَّهُ زادَ حَتَّى فاضَ مـن جَسَدِي فصارَ سُقْمِي بهِ في جِسْمِ كِتْمانِي(١٢).

ويكتمه كذلك - حتى تفضحه أحواله - عن كل من يحيط به:

رِضاكَ رِضايَ الـــــذي أُوثِـرُ وسِرُّكَ سِرِّي فمـــــا أُظْهِـرُ
كَفَتْكَ المُرُوءَةُ مـــــا تَتَّقِـي وآمَنَكَ الوُدُّ مـــــا تَحْـذَرُ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وسِرُّكُـــمُ فـــي الحَـشا مَيِّـتٌ إذا أُنْـشِرَ الـسِّـــرُّ لا يُنْـشَرُ
كـأنِّي عَصَتْ مُقْلَتِـي فيكـــمُ وكاتَمَتِ القَلْبَ مـــا تُبْصِرُ
وإفْشاءُ مـــا أنَـا مُـسْتَودَعٌ من الغَدْرِ والحُـــرُّ لا يَغْـدُرُ (١٣).

وهو يخاطبه – بعد البيتين الأولين – بضمير الجمع، وفيه من التعظيم والإجلال والتقديس – ما فيه وقد ملك عليه وجدانه فامتلأ به حتى شغله عن كل ما عداه، ولا غرو فحبه لا يزال – منذ نبض القلب به – يزداد ويشتد على مر الزمان:

ولكنَّ حُبًّا خامَـــرَ القَلْبَ في الدُّنا يَزِيدُ على مَـرِّ الزَّمانِ ويَـشْتَدُّ (١٤).

وجرى – حين جرى – في روحه وجسده – أو في مفاصله على حد تعبيره – مجرى الدماء:

جَرَى حُبُّها مَجْرَى دَمِي في مَفاصِلِي فَأَصْبَحَ لِي عن كلِّ شُغْلٍ بها شُغْلُ (١٥).

بل بلغ به – كما بلغ بأهل الوجد – حد الجنون، فغيب – حين حل بقلبه – العقل عنه:

فمَـــنْ شاءَ فليَنْظُرْ إليَّ فَمَنْظَرِي نَذِيرٌ إلى مَـــنْ ظَنَّ أنَّ الهَوَى سَهْلُ
ومـــا هِيَ إلا لَحْظَةٌ بعدَ لَحْظَةٍ إذا نزلتْ فـــي قَلْبِهِ رَحَـلَ العَقْلُ (١٦).

وقد أضر الحب بجسده – كما أضر بعقله – فأصابه– شأن العشاق– ما أصابه من النحافة والهزال (١٧)، وأسقمه (١٨)، وعذبه (١٩)، وعرضه لأهل الشماتة والعـذال أو اللوام (٢٠). لكنه لم يتجاوز – مع هذا كله – حد الرضا عنه:

رَضِيتُ بما تَرْضَى بـــهِ لِي مَحَبَّةً وقُدْتُ إليكَ النَّفْسَ قَوْدَ المُسَلِّمِ (٢١).

فنظرة منه إليه – وإلى محاسن وجهه – تكفيه:

ويا رَجَـــاءَ العُيُونِ في كلِّ أَرْضٍ لم يكنْ غيرَ أنْ أَراكَ رَجائِي (٢٢).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتعيد العقل – الذي غاب بسبب هذا المحبوب – إليه، وتبرئه – مما ألم به من الأسقام – وتشفيه:

إذا ظَفِرَتْ منكَ العُيُونُ بنظـــرةٍ أثابَ بها مُعْيِي المَطِيِّ ورازِمُهْ (٢٣).

ورشفة من ريقه – وقد ذاقها في لحظة من لحظات الرضا عنه – تحيي – وهو مما جمح الحس به – ما رم – إن أصيب بها التراب – من العظام:

فذُقْتُ ماءَ حَياةٍ مـــــن مُقَبَّلِها لو صابَ تُرْبًا لأَحْيا سالِفَ الأُمَمِ (٢٤).

لقد كان الـمُتَنَبِّي يرى – كما ذكرت – معشوقه – كالصوفي – في كل شـيء يراه، فلا يكاد – حتى في لحظات اليأس من الوصال – يفارق مخيلته ووجدانه:

مُمَثَّلَةٌ حَـتَّى كأنْ لـــم تُفارِقِي وحَتَّى كأنَّ اليَأسَ مـــن وَصْلِكِ الوَعْدُ

وحَتَّى تَكـــادِي تَمْسَحِينَ مَدامِعِي ويَعْبَقُ فـي ثَوْبَيَّ من رِيحِكِ النَّدُّ (٢٥).

فشاع في شعره – كما لم يشع في شعر غيره – لغة الحب، وتغلغلت هذه اللغة – بمعجمها الضخم الغزير – في سائر الموضوعات، فضلاً عما كان يقدم به – كما ذكرت – لقصائده – في بعض الأحيان – من ترانيم الغزل، وهو غزل لا يخرج عن هذا السياق؛ يقوله – متعففًا – في محبوب – بل معشوق – مجهول، لا اسم ولا جسم له، ولا ملامح شكلية أو علائق زمنية أو مكانية تعينك – إن أردت – في الاستدلال عليه. واقرأ إن شئت مدحته للطُّرَسُوسِيِّ، لترى في مقدمتها مثل هذه الأبيات:

هَذِي بَـرَزْتِ لـنا فـهِجْتِ رَسِيـسا ثـم انْثَنَيْتِ ومـا شَـفَيْتِ نَسِيـسا

وجَعَلْتِ حَـظِّي مِنْكِ حَظِّي في الكَرَى وتَـرَكْتِنِي لِلفَـرْقَدَيْنِ جَلِيـسا

قَطَّـعْتِ ذَيَّـاكِ الخُـمارَ بسَكْـرَةٍ وأَدَرْتِ مـن خَمْرِ الفِراقِ كُئُوسا

إنْ كنـتِ ظَـاعِنَةً فـإنَّ مَـدَامِعِي تَكْفِـي مَزَادَكُمُ وتَرْوِي العِيْـسا (٢٦).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فمن هي تلك المحبوبة التي برزت – أو تجلت – له فهيجت ما رَسَّ – أو استقر – في قلبه من الوجد لها، ثم انثنت دون أن تشفي أقل القليل، ولم يكن حظه منها إلا حظ النائم مما يراه من الخيال في حلمه، فإذا ما استيقظ من هذا النوم أفاق كما يفيق المخمور من سكره، وخلفته – كعهدها – نهب الدموع والأشواق؟!

إنها – في رأيي – هي هي التي أرقته – منذ صباه – فقال عنها – في مقدمة مدحته لأبي المُنْتَصِرِ شُجاعِ بنِ مُحَمَّدٍ الأَزْدِيِّ –:

أَرَقٌ على أَرَقٍ ومِثْلِيَ يَأْرَقُ ... وجَوًى يَزِيدُ وعَبْرَةٌ تَتَرَقْرَقُ

جُهْدُ الصَّبابَةِ أنْ تكونَ كما أَرَى ... عَيْنٌ مُسَهَّدَةٌ وقَلْبٌ يَخْفِقُ

ما لاحَ بَرْقٌ أو تَرَنَّمَ طائِرٌ ... إلا انْثَنَيْتُ ولِي فُؤادٌ شَيِّقُ

جَرَّبْتُ من نارِ الهَوَى ما تَنْطَفِي ... نارُ الغَضَا وتَكِلُّ عَمَّا تَحْرِقُ

وعَذَلْتُ أَهْلَ العِشْقِ حَتَّى ذُقْتُهُ ... فعَجِبْتُ كيفَ يَمُوتُ مَنْ لا يَعْشَقُ

وعَذَرْتُهُمْ وعَرَفْتُ ذَنْبِي أَنَّنِي ... عَيَّرْتُهم فلَقِيْتُ منه ما لَقُوا [٢٧].

ثم عاد يذكرها في مدائحه لسَيْفِ الدَّوْلَةِ وغيره [٢٨]، وهي هي التي يصفها – كما يصف الصوفي محبوبه – بتناهي الحسن – في كل ما يصدر عنها من سكنات أو حركات – حتى لا يبقى هناك عذر لمن رآها فلم يخلب بها أو يبلغ به حبها حد الردى والموت:

تَنَاهَى سُكُونُ الحُسْنِ في حَرَكاتِها ... فليسَ لراءٍ وَجْهها لم يَمُتْ عُذْرُ [٢٩].

وهي كذلك من لا مثيل لها – فيما يصرح به – على وجه الأرض:

تَقُولِينَ مَا في النَّاسِ مِثْلَكَ عاشِقٌ ... جِدِي مِثْلَ مَنْ أَحْبَبْتُهُ تَجِدِي مِثْلِي [٣٠].

فلو كان هناك – وليس هناك – مثيل لها لما تفردتُ – كأني به يقول – عن غيري – من شعراء الغزل المعهود أو التقليدي إن شئت – بهذا العشق.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ب – الزهد:

الزهد هو الأساس الذي قامت عليه – فيما قامت – حركة التصوف الإسلامي – قبل اتصالها بالفلسفات الوافدة – وهو مقام – من مقاماتهم السامية – لا يصل إليه إلا من راض النفس على ترك الهوى، وحررها من أسر الدنيا وزخرفها، ولم يفتنه – فيلهث فيها كالطغام – بريقها. وعجيبٌ أمر المُتَنَبِّي – الذي شغل الدنيا وشغلته كما شغلها – حين يبدو – متأثرًا بهؤلاء الصوفية – زاهدًا، فيصحب – على ما وصل إليه من الشهرة – الفقراء، ويرضى – وقد عاشرهم زمنًا في البادية – بعيشهم – على ما في هذا العيش من الخشونة والقسوة –:

ومُدْقِعِينَ بسُبْرُوتٍ صَحِبْتُهُمُ عارِينَ من حُلَلٍ كاسِينَ من دَرَنِ
خُرَّابُ باديةٍ غَرْثَى بُطُونُهُمُ مَكْنُ الضِّبابِ لهم زادٌ بلا ثَمَنِ (٣١).

ويصرف قلبه عن التعلق بالدنيا وما فيها من اللذائذ والنعيم – فيسأمها ولما يرتو منها – ويهجر – مع قدرته على الوصل – من فيها – وقد حرصن على وصله – من الغواني والحسان:

بقَلْبِي وإنْ لم أرْوَ منها مَلالَةٌ وبِي عن غَوانِيها وإنْ وَصَلَتْ صَدُّ (٣٢).

ويذم الزمان وأهله، ممن لا يختلفون في ظنه – وقد بلغ به الحنق مداه – عن القرود والفهود والكلاب:

أذُمُّ إلى هذا الزَّمانِ أُهَيْلَهُ فَأعْلَمُهُمْ فَدْمٌ وأَحْزَمُهُمْ وَغْدُ
وأكْرَمُهُمْ كَلْبٌ وأبْصَرُهُمْ عَمٌ وأسْهَدُهُمْ فَهْدٌ وأشْجَعُهُمْ قِرْدُ (٣٣).

فهؤلاء – في رأيه – ثمرة عصر طغت فيه الحضارة – في جانبها المادي – على كل شيء، وقضت – دونما رفق – على كل ما كان جميلاً، فلم يعد الإنسان هو

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإنسان، ولم تعد القيم الرفيعة غير قشور زائفة، يتشدق – دونما فعل – بها القدمى والأوغاد. إن البقاء في زمن كذلك الزمن الممقوت – وإن لم يصل بعد إلى تفضيل الموت عليه – أمر غير محمود:

فما تَرْضَى النُّفُوسُ مـــــن زَمَنٍ أَحْمَدُ حالَيْهِ غيرُ مَحْمُـــودِ (٣٤).

وأحمد الحالين هو البقاء بطبيعة الحال، والحال الأخرى إنما يعني بها المـوت، وكلاهما – كما ترى – مما يرغب – كما يشير كلامه – عنه.

لقد انتهى به علمه – وهو اللبيب الخبير – إلى أن الحياة – كما يردد شـعراء الزهد – غرور – وإن حرص الإنسان عليها – وأن الفناء – برغم ما يتعلل كل منا به – هو المصير – شئنا ذلك أو لم نشأ – فلا مفر من الموت:

إنِّـي لأَعْلَـــمُ واللَّبِيبُ خَبِيـرُ أنَّ الحَيَـــــاةَ وإنْ حَرَصْتَ غُرُورُ
ورأيتُ كُلاًّ مـــــا يُعَلِّلُ نَفْـسَهُ بتَعِلَّةٍ وإلـــى الفَنَاءِ يَـصِيـرُ (٣٥).

فعلام يعلل المرء نفسه بطول الحياة؟! وهل يحول هذا البقاء – مهما امتد – بيننا وبين الموت؟! إن العظيم – كممدوحه من صغرت الدنيا – وما فيها – في عينيه:

أرَاهُ صَغِيرًا قَدْرَها عُظْـــمُ قَدْرِهِ فما لعَظِيمٍ قَدْرُهُ عِنْدَهُ قَـــدْرُ (٣٦).

والتافه الحقير – أو الوضيع من الطغام – من خلبته بفتنتها – فعلق بهـا قلبـه وعلقت به:

وشِبْهُ الشَّيْءِ مُنْجَـــذِبٌ إليهِ وأَشْبَهُنا بدُنْيانا الطَّغَـــامُ (٣٧).

لذلك فهو – شأن الصوفي الزاهد – لا يتطلع إليها – كمن شغلته وهم من الكثرة بمكان – بعين الواله المحب:

لا أَلْحَظُ الدُّنْيا بعَيْنَيْ وامِـــقٍ ولا أُبالِي قِلَّـــــةَ المُوافِقِ (٣٨).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولا يبالي بما قد يتعرض له جسده – ما سلم العرض وسلمت معه كرامته – من الإصابة بالنحول أو الضمور أو النحافة والهزال ونحوها بسبب الشظف – وقد آثره على النعيم – وبؤس العيش:

يَهُـــونُ علينا أن تُصابَ جُسُومُنا وتَسْلَـــمُ أعْراضٌ لَنا وعُقُولُ (٣٩).

فلقد ذاق حلاوتها – من قبل – وذاق مرارتها، فاستوى لديه – في مقام الرضا بقضاء الله – الحالان، ولم يجد فارقًا بين هذه وتلك:

قدْ ذُقْتُ شِدَّةَ أيَّامِـــي ولَذَّتَها فما حَصَلْتُ على صابٍ ولا عَسَلِ (٤٠).

وليس بغث – فيما أفضت تجربته إليه وندت خبرته عنه – أن يغث المأكل – والملبس والمشرب وغيرها من ضرورات الحياة – وإنما الغثاثة – كل الغثاثة – أن تغث كرامته فتنال منها الأيام:

غَثاثَـــةُ عَيْشِي أنْ تَغَثَّ كَرامَتِي وليسَ بِغَثٍّ أنْ تَغَثَّ المَـــآكِلُ (٤١).

كذلك هو – فيما يرى – وكذلك الدنيا لديه، لا تستحق سوى الكره – وكأنهما قد صارا على طرفي نقيض – ولا مجال – إن فقد الكرامة – للبقاء ساعة فيها، وليس هنالك ما يجبره على الرضا بقبول الظلم:

كذا أنا يـــا دُنْيا إن شِئْتِ فاذْهَبِي ويـــا نَفْسُ زِيدِي في كَرائِهِها قُدْما

فلا عَبَرَتْ بِـــي ساعَـــةٌ لا تُعِزُّنِي ولا صَحِبَتْنِـــي مُهْجَةٌ تَقْبَلُ الظُّلْما (٤٢).

إنه – كأهل الحقيقة – يعرف قدر نفسه، ويعرف قدر الآخرين لديه:

واقِفًا تحتَ أخْمَصَيْ قَـــدْرِ نَفْسِي واقِفًا تحتَ أخْمَصَيَّ الأنَـــامُ (٤٣).

وإن بالغ بطبيعة الحال في تصور هذا القدر. ويعرف كذلك قدر الدنيا، وأنها ما وجدت إلا لتخدم من فيها، لا ليصير من فيها خدمًا لها بأي حال من الأحوال:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولا يَرْمَحُ الأذْيالَ مـــــن جَبْرِيَّةٍ ولا يَخْدُمُ الدُّنْيا وإيَّـــاهُ تَخْدُمُ (٤٤).

غير أن من النفوس – وهو ما ينعاه على غيره في إطار الحض على الزهد – ما تغتر بما قد تذوق فيها من حلاوة، فتظل – حتى حين تتعرض للذل – عالقة بها:

تَغُرُّ حَلاواتُ النُّفُـــــوسِ قُلُوبَها فتَخْتارُ بَعْضَ العَيْشِ وهـو حِمامُ (٤٥).

وقد لا يبرئ نفسه – حين يشف الشعر لديه عن بشريته – من هذا العشق، لكنه لا ينسى – حتى وهو مأخوذ بهذا الخمار – أن يذكر نفسه – ويـذكرنا معـه – أن الوصال فيها لا سبيل إليه:

ومَـــــنْ لم يَعْشَقِ الدُّنْيا قَدِيمًا ولكـــــنْ لا سَبِيلَ إلى وِصالِ (٤٦).

فهي أشبه ما تكون – وكذا كل محبوب فيها – بالخيال:

نَصِيبُكَ في حَياتِكَ مـــــن حَبِيبٍ نَصِيبُكَ في مَنامِـــكَ من خَيالِ (٤٧).

وهي أخون من المرأة الفاجرة وأشد خداعًا من الصائد المتربص دومًا بفريسته، ولا طائل فيها لمن أخلص الود لها:

فذِي الدَّارِ أَخْوَنُ مـــــن مُومِسٍ وأَخْدَعُ مـــــن كِفَّةِ الحابِـلِ

تَفاتَـى الرِّجـــــالُ على حُبِّهـا ومـــا يَحْصُلُونَ على طائِلِ (٤٨).

فماذا يشتهي منها وليس فيها – كما يرى – شيء يحب؟

وما الحَياةُ ونَفْسِي بَعْدَمـــا عَلِمَتْ أنَّ الحَياةَ كمـــا لا تُشْتَهَى طَبَعُ (٤٩)؟

والطبع هو الدنس والقذارة كما يقول العَكْبَرِيُّ، فلا سبيل – والأمر كذلك – إلا أن تحتقرها – كما احتقرها – وتضع نصب عينيك – كما وضع – أن الفناء مصير كل ما ترى، والزوال هو المآل:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتَحْتَقِرُ الدُّنْيا احْتِقـــــارَ مُجَرِّبٍ يَرَى كُلَّ مــا فِيها وحاشاكَ فانِيا (٥٠).

وهذا شيء قد لا يحتاج في معرفتك له إلى خبرة أو تجربة – كخبرته وتجربته – فلو تفكرت قليلاً في مصير من مضى وكيف صارت بعد رحيلهم إليك لعلمت أنها سوف تنصرف عنك إلى غيرك، وهكذا دواليك، فلو دامت لمن كان قبلك لما وصلت – كما يقال – إليك:

سُبِقْنا إلى الدُّنْيا فلو عــــاشَ أهْلُها مُنِعْنا بــها مـــــــن جَيْئَةٍ وذُهُوبِ
تَمَلَّكَها الآتـــــي تَمَلُّكَ سالِــبٍ وفارَقَها الماضِي فِـــــــراقَ سَلِيبِ
ولا فَضْلَ فيها للشَّجاعَـــــةِ والنَّـدَى وصَبْرِ الفَتَى لــــــولا لِقاءُ شُـعُوبِ
وأوْفَى حَياةِ الغابِرِيـــــنَ لِـصاحِـبٍ حَياةُ امْرِئٍ خاتَتْهُ بعــدَ مَشِيبِ (٥١).

وإذا تأملت الزمان تيقنت أن الموت لا يختلف عن القتل في شـــيء؛ فكلاهمـــا ضربة لازب، وأن أقرب المقربين إليك – وهو الولد الذي قد تهيم به – ليس إلا تعلة تعلل بها نفسك، وهي لا تغني من شيء، وأن ما تجنيه من لذة – حين تتقلـب فـي أحضان الحسان من النساء – هو الأذى بعينه؛ لأنك سوف تفيق منها إليه:

إذا مــا تَأمَّلْتَ الزَّمــانَ وصَــرْفَهُ تَيَقَّنْتَ أنَّ الموتَ ضَرْبٌ مـــــن القَتْلِ
هــلِ الــوَلَدُ المَحْبُــوبُ إلا تَعِلَّــةٌ وهل خَلْـــــوَةُ الحَسْناءِ إلا أذَى البَعْـلِ
وقدْ ذُقْتُ حَلْواءَ البَنِينَ على الــصِّبا فلا تَحْسَبَنِّي قلتُ ما قلتُ عن جَهْلِ (٥٢).

وهكذا كل لذيذ فيها؛ لا يخلو من مرارة أو صاب:

دونَ الحَلاوَةِ في الزَّمـــــــانِ مَرارَةٌ لا تُخْتَطَى إلا على أهْوالِـــــهِ (٥٣).

والغم – أشد الغم – في سرور قد تيقن صاحبه – وهو في أوج سعادته به – أنه سوف يصير – ككل شيء – إلى زوال:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كذا الدُّنيا على مَـــنْ كـان قَبْـلُ صُرُوفٌ لـــــم يُدِمْنَ عليهِ حـالا
أشَـدُّ الغَـــــمِّ عندي في سُرُورٍ تَيَقَّنَ عنـــه صاحِبُـهُ انتِقـالا (٥٤).

أقرأ هذا الشعر في ديوان الـمُتَنَبِّي – وهو منبث في ثناياه – فأشعر أنني بـين يدي شاعر من شعراء الزهد الكبار – كأبي العَتَاهِيَةَ وأبي نُواس – وأنسى – حـين أقرؤه – هممه البعيدة – التي يقصر الزمان عنها – وطموحه الذي ما انفك ملازمًـا له طول الحياة، ويتبدى لي الرجل شيخا ملتفًا في عباءة من صوف– تغطي روحـه ونفسه لا جسده فحسب– منزوٍ في ركن ناء من أركان الدنيا، مكتفٍ فيها – كأرباب التصوف – بالكفاف، وتتمثل لي تلك الصورة– التي تناقض كل ما قد عُرف عنه – حين أسمعه كذلك وهو يقول:

وإنِّـي لَتُغْنِينِي مـــن المـاءِ نُغْبَةٌ وأَصْبِرُ عنه مِثْلَ مـــــا تَصْبِرُ الرُّبْدُ
وأَمْضِي كمـــا تَمْضِي السِّنانُ لِطِيَّتِي وأَطْوِي كما تَطْوِي المُجَلَّحَـةُ العُقْـدُ (٥٥).

أو يقول – وقد استوى لديه الغنى والعدم –:

ومـــا شَكَرْتُ لأنَّ الحالَ فَرَّحَنِي سِيَّانِ عِنْدِيَ إِكْثارٌ وإِقْـــلالُ (٥٦).

أو يقول وقد ساء ظنه بالناس فرغب عنهم وتعفف عما في أيديهم:

عليكَ إذا هُزِلْتَ مـــــعَ اللَّيالِي وحَوْلَكَ حينَ تَسْمَنُ فـي هِراشِ (٥٧).

ولم يعد ير فيهم غير صور مجسمة للخداع والنفاق:

إذا مـــــا النَّاسُ جَرَّبَهُمْ لَبِيبٌ فإنِّي قـــــــد أَكَلْـتُهُمُ وذاقـا
فلـم أَرَ وُدَّهـــــم إلا خِـداعًا ولم أَرَ دِينَهم إلا نِفاقـــــا (٥٨).

أو يقول وقد صغرت الدنيا في عينيه وسيطر الموت – أو الفناء – عليه:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يُدَفِّنُ بَعْضُنا بَعْضًا وتَمْشِي أواخِرُنا على هامِ الأَوالِي
وكَمْ عَيْنٍ مُقَبَّلَةِ النَّواحِي كَحِيلٍ بالجَنادِلِ والرِّمالِ
ومُغْضٍ كانَ لا يُغْضِي لخَطْبٍ وبالٍ كانَ يَفْكُرُ في الهُزالِ (٥٩).

وكأنه – وهو يذكرنا به – أحد الوعاظ – لا ابن دنياه الذي كنا نعهده – أو الزهاد الذي صرفوا قلوبهم عنها فلم يشغلهم ما فيها من اللذائذ والشهوات. هذه الصورة التي أراها له – وهو يردد مثل هذه المعاني والأفكار – هي – في رأيي – أثر من الآثار المباشرة للصوفية في شعره، بسم المضمون – كما ترى – بميسمه الخاص، كما وسمه العشق فيما مضى، والفتوة فيما سيجيء.

جـ – الفتوة:

الفتوة اسم جامع لما ينبغي أن يتحلى به الإنسان – من الأخلاق – في رحلة معراجه نحو الكمال؛ تحمل – مع ما فيها من ثوابت لا يختلف عليها أحد – في كل عصر سمات خاصة تطبعها بطابعه؛ فهي في الجاهلية كرم لا يُعرف له حد – في أمة تعلي لظروفها الخاصة من قيمة الجود والعطاء – وشجاعة – في مجتمع أشبه بالغاب يقدس معنى القوة ولا يعترف إلا بالأقوياء – ليس لها انتهاء، وعزة نفس – أو أنفة – وإيثار ووفاء، وإغاثة للملهوف وحماية للضعفاء، وحلم وتواضع ورزانة وقوة احتمال (٦٠)، و" الفتى عندهم هو السيد الذي نال السؤدد والشرف بخلاله الكريمة وأفعاله العظيمة " (٦١).

وهي في الإسلام – مع تلك المعاني السابقة – جهاد في سبيل الله، وعفو – عن قدرة – عمن أساء، وعفة وتقوى، وصبر وطاعة وموالاة. وهي لدى الصوفية على وجه خاص مجاهدة للنفس وحبس لها عن الشهوات، وزهد فيما يتكالب عليه الناس من أمور الدنيا – كالرياسة والغنى والجاه – وورع وتضحية وسخاء؛ " فالفتوة عند

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المتصوفة قد زادت عن معناها الأصلي عند العرب، واستخدمت في أغراض دينية"[٦٢]، دون أن تتخلى – بشكل تام – عن المعنى القديم لها؛ قال ابنُ عَرَبِيٍّ – في الفصل الثاني والأربعين من الفتوحات المكية –: " الفتى ما بين الثامنة عشر والأربعين من العمر، ويتصف بالقوة والأخلاق الحميدة، ويستخدم قوته في خدمة الله ونصرة الضعيف، وليس له عدو ولكن له حساد ومنافسون ". وقال القُشَيْرِيُّ – في رسالته المعروفة [٦٣] –:" أصل القوة أن يكون العبد ساعيًا أبدًا في أمر غيره ". وكان الفُضَيْلُ بنُ عِياضٍ – فيما نقله القُشَيْرِيُّ عنه – يقول في هذا الصدد: " الفتوة الصفح عن عثرات الإخوان ". وقال الحَرِثُ المُحاسَبِيُّ – فيما نقله القُشَيْرِيُّ كذلك عنه –: " الفتوة أن تنصف ولا تنتصف ". وقال آخرون: " الفتوة إظهار النعمة وإسرار المحنة " [٦٤].

وهي – كما ترى – مزيج بين ما كانت تحمله قبل الإسلام وما جد عليها في الإسلام من معان، وصبغة لا تخطئها العين فيما أضفاه عليها الصوفية من رؤى ومذاق خاص؛ لقد " أخذ المتصوفة من تعاليم الفتوة العربية أهم ميزاتها وهو الإيثار، وأضافوا إليها صفات خاصة متصلة بها؛ مثل كف الأذى، وبذل الندى، وترك الشكوى، وإسقاط الجاه، ومحاربة النفس، والعفو عن زلات الناس" [٦٥]. وإذا كان المولى عز وجل قد سمى إبراهيم فتى – في قصة كسره للأصنام – حين قال – على لسان قومه عليه السلام – { قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ }، فإن الفتوة – فيما فهمها بعض هؤلاء الصوفية – هي في حقيقتها كسر الإنسان لصنمه؛ "وصنم كل إنسان نفسه، فمن خالف هواه فهو فتى على الحقيقة" [٦٦].

وفي شعر المُتَنَبِّي احتفاء واضح بالفتوة – في معنييها العام والخاص – وإشارات غير قليلة – بل لا أبالغ إن قلت إنها من الكثرة بمكان – للفتى – وفق رؤيته المستمدة من رؤية المتصوف له – أو الفتيان؛ فالفتى له أخلاق – والأخلاق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هي المحور الرئيس للفتوة حين تمتزج الرؤية النظرية بالسلوك عندهم فيأتي السلوك وفق تلك الرؤية ولا ينفصل عنها بحال – تدل على طبيعة فعله؛ أتى ما أتى – من سخاء ونحوه – عن طبيعة غرسها المولى تبارك وتعالى فيه وهذبها هو من ناحيته، أم عن تكلف – كما ساد عصره – وافتعال:

وللنَّفْسِ أَخْلاقٌ تَدُلُّ علـــى الفَتَى أكانَ سَخَاءً مـــا أَتَى أم تَساخِيا (٦٧).

وهو الجواد الذي يقترن جوده – في تصور الآخرين له – بـالخير، بكـل مـا تحمله هذه الكلمة الأخيرة من معان:

لـــم أَعْرِفِ الخَيْرَ إلا مُذْ عَرَفْتُ فَتًى لم يُولَدِ الجُـــودُ إلا عندَ مَوْلِدِهِ (٦٨).

ويقترن كذلك بالمعالي – حين ينفق ما ينفق عن سخاء في وجوه المجد والرفعة – فينتفي عنه ما كان يلازمه قبل الإسلام – وهم ينفقون بغير حد فيما لا يحقق هـذا المجد على الخمور أو النساء وما أشبه – من التبذير والإسراف:

فَتًى كُلَّ يَوْمٍ يَحْتَوِي نَفْسَ مالِـــهِ رِمـــاحُ المَعالِي لا الرَّدَيْنِيَّةُ السُّمْرُ (٦٩).

وقد كنى عن هذه وتلك بالردينية والرماح. وهو أشبه في جوده بالسحاب:

فَتًى كالسَّحابِ الجُوْنِ يُخْشَى ويُرْتَجَى يُرَجَّى الحَيا منها وتُخْشَى الصَّواعِقُ (٧٠).

لكنه وقد صار في نظر المحيطين به محلاً للرجاء هو في الوقت ذاته ذو مهابة لم تنل منها – بسبب سخائه – الأطماع، وجوده – فيما يرى – غير متبوع بمنٍّ؛ فهو يعطي – حين يعطي – بلا حدود، ولا يرى فيما أتى ما يستحق أن يثنى به عليه:

فَتًى يَهَبُ الإقْلِيمَ بالمـــالِ والقُرَى ومَنْ فيه مـــن فُرْسانِهِ وكِرامِهِ

ويَجْعَلُ ما خُوِّلْتَهُ مـــن نَوالِهِ جَـزاءً لما خُوِّلْتَهُ مـــن كَلامِهِ (٧١).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بل هو يأتي ما أتى وقلبه – كسائر قلوب المخلصين – وجل أن لا يقبل الله منه ما أتاه:

وما الخَوْفُ إلا مـــــا تَخَوَّفَهُ الفَتَى ولا الأَمْنُ إلا مـــا رآهُ الفَتَى أمْنا (٧٢).

ولا يرى إحسانه مهما بلغ من الكمال – إلا ناقصًا – ما لم يشمل ويعـم وهمـا غير متاحين في كل الظروف والأحوال – فهو متهم نفسه – غير مغـرور بحـسن صنيعه وتفرده – على الدوام:

فَتًى لا يَرَى إحْسانَهُ وهـــــو كامِلٌ لـــه كامِلاً حَتَّى يُرَى وهو شامل (٧٣).

والجود شرط من شروط الطهارة عنده – طهارة النفس لا الأعضاء – لا تـتم بدونه، ولا تجتمع مع ضده في قران:

فَتًى لا يُرَجّـــــي أنْ تَتِمَّ طَهارَةٌ لمَنْ لم يُطَهِّرْ راحَتَيْهِ مـــن البُخْلِ (٧٤).

والفتى – مع هذا الجود – شجاع؛ يصلى نيران الحرب – حين يتـدثر غيـره بدفء الخيام – منها شرابه – لا مما لذ من الخمور أو برد وطاب من سائر الشراب – وبها اغتساله – من الجبن ونحوه – وهو كذلك من لا تخطر الفحشاء له ببال:

فَتًى بِنِيرانِ الحُـــــــرُوبِ صالِي

منها شَرابِي وبهـــــــا اغْتِسالِي

لا تَخْطُـرُ الفَحْشَـــاءُ لِي بِبَالِ (٧٥).

وقد تركت الحروب – وهو الدليل الملموس يقدمه على تلك الشجاعة حين يقترن الرأي كما ذكرت بالسلوك والأفعال – أثرًا واضحًا في وجهه أشبه بالخط، غيـر أن حروفه لا تنطق – إذ تنطق – إلا بتلك الشجاعة النادرة وبمقدرتـه علـى خـوض المهالك والإقدام:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وَكُلُّ فَتًى للحَرْبِ فـــــوقَ جَبِينِهِ مــن الضَّرْبِ سَطْرٌ بالأَسِنَّةِ مُعْجَمُ (٧٦).

وهذا هو الحسن في رأيه لا حسن الوفرة وجمال الشكل:

لا تَحْسُنُ الوَفْـــــرَةُ حَتَّى تُـرَى مَنْشُورَةَ الضَّفْرَيْنِ يـــــومَ القِتَالِ

على فَتًى مُعْتَقِـــــلٍ صَعْـــدَةً يَعُلُّهـا مـــن كلِّ وافِي الـسِّبالِ (٧٧).

أن يحمل الإنسان صعدته فيرويها – كما يقول – من دماء هؤلاء الأقزام الذين امتلأت بهم – في عصره – كل البلاد، من الملوك – الذين سلطوا على رقاب العباد – وأشباه الملوك، ومن الأثرياء – الذين طفحت خزائنهم بقوت الفقراء – والمترفين الذين يجرون – في خيلاء – أطراف الثياب؛ فالفتى هو الذي يخـضب بالـسيف – وفيه خروج كما ترى عن معنى الفتوة السامي لدى المتصوفة – لحى أمثال هؤلاء:

فَظَلَّ يُخَضِّبُ منهـــــا اللِّحَى فَتًى لا يُعِيدُ علـــــى النَّاصِلِ (٧٨).

وهو الذي يخلص البلاد والعباد من شر ملك – في زعمه – ككافُورِ الإخْشِيدِيِّ:

ألا فَتًى يُـــــوردُ الهِنْدِيَّ هامَتَهُ كَيْما تَزُولُ شُكُـوكُ النَّاسِ والتُّهَمُ (٧٩).

ولا يلتفت لما يحيط به – في خروجه أو ثورته على الظلم والظـالمين – مـن المهالك والأخطار؛ فمن اعتاد خوض المنايا لم يرهب السير – أو المرور – خـلال الأوحال:

إذا اعتادَ الفَتَى خَـــــوضَ المَنايا فأهْوَنُ ما يَمُرُّ بـــــهِ الوُحُولُ (٨٠).

وهي معان – على ما فيها من سمو الغاية أحيانًا – تقترب به وبنا مـن حافـة تقديس القوة – المعروفة عنه – بقدر ما تبتعد بنا – وقد هبطت الوسـيلة إلـى حـد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الثورة والقتل – عن آفاق الصوفية السمحة وما عرف عن هؤلاء القوم من التسامح والرأفة ومن التسليم أو الرضا بقضاء الله.

والفتى – حين يعود ثانية إلى تلك الآفاق – من امتلأ قلبه بحب الله، وقتله – فبلغ في قتلته تلك منزلة الشهداء – العشق حتى أفناه:

وكمْ للهَوَى مـــــن فَتًى مُدْنَفٍ وكمْ للهَوَى مـــن قَتِيلٍ شَهِيدْ (٨١).

ذو رأي – لو قسم حتى بلغ الألف لوسع الجزء منه ما يسعه مجتمعًا آراء سواه – يفصل به في مدلهم الخطوب، ويلوذ إليه في الأزمات:

فَتًى أَلْفُ جُزْءٍ رَأْيُـــــهُ في زَمانِهِ أَقَـــلُّ جُزْءٍ بَعْضُهُ الرَّأيُ أَجْمَعُ (٨٢).

وعقله – وهو مناط تكريم الله له – يربأ به عن أن تغيبه الخمور أو المسكرات:

وأَنْفَسُ مـــــــــا للفَتَى لُبُّهُ وذُو اللُّبِّ يَكْرَهُ إنْفاقَـــــــهُ (٨٣).

وهو زين قبيلته وعشيرته – بحسن فعاله – وذويه، بل زين كل قبيلة من الأدنى حتى الأقصى:

فَتًى زانَ في عَيْنَيَّ أَقْصَى قَبِيلِـــــهِ وكمْ سَيِّدٍ في حِلَّـــــةٍ لا يَزِينُها (٨٤).

لذلك تراه – بسبب سيادته وحب النـاس لـه – محسودًا مـن ذوي الشنآن والبغضاء، يعادى على ما يوجب – في نظره – الحب له:

أُعادَى على مـــا يُوجِبُ الحُبَّ للفَتَى وأَهْدَأُ والأَفْكارُ فِيَّ تَجُـــولُ (٨٥).

لا يشغله – مع مثل هذا الحسد وتلك العداوات البغيضة – شيء عما يبقي له – بعد رحيله – الذكر الجميل:

ذِكْرُ الفَتَى عُمْـــرُهُ الثَّانِي وحاجَتُهُ ما قَاتَـــهُ وفُضُولُ العَيْشِ أَشْغَالُ (٨٦).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وعجيب أمر هؤلاء الفتيان الذين لا تتعدى حاجتهم – مع بعد همتهم الأقوات يقيمون بها أود الأجساد، ولا تشغلهم الدنيا كذلك – مع طول شغلها للآخرين – عن المعالي – من الأفعال – وعن كل ذي خطر عظيم:

تَخـــذُوا المَجالِسَ في البُيُوتِ وعِنْدَهُ أنَّ السُّروجَ مجالِـــــسُ الفِتْيانِ (٨٧).

وقد تبلغ به القوة – كما بلغت بهؤلاء الفتيان – حد التحكم في الزمن:

فَتًى تَتْبَعُ الأَزْمـــانُ في النَّاسِ خَطْوَهُ لكلِّ زَمـــــانٍ في يَدَيْهِ زِمامُ (٨٨).

فيتصرفون – وقد ملكوا زمامه – فيه، ويقودونه – ويقودون الناس من خلفه - نحو ما يريدون لا ما يريد. ومع هذا فهم ذوو حياء ظاهر، لا تخطئه – حين تنظر إليهم في سائر أحوال حياتهم – الأبصار:

وأَوْجُـه فِتْيـانٍ حَيـــاءٌ تَلَثَّمُـــوا عليهنَّ لا خَوْفًا مـــــن الحَرِّ والبَرْدِ
وليسَ حياءُ الوَجْـــهِ في الذَّنْبِ شِيمَةً ولكنَّهُ مـــــن شِيمَةِ الأَسَـدِ الـوَرْدِ
إذا لـــم تُجِزْهـم دارَ قَـــوْمٍ مَـوَدَّةٌ أَجازَ القَنَا والخَوْفُ خَيْرٌ مـــن الوُدِّ
يَحِيدُونَ عـــن هَزْلِ المُلُوكِ إلى الذي تَوَفَّرَ من بينِ المُلُوكِ علـــى الجِدِّ (٨٩).

وهي صورة رائعة للفتيان، وللفتوة كما يراها، وفيها يجتمع الحزم مع الحياء، والود مع المهابة، والجد – وقد توفروا عليه – مع هزل الملوك – الذين لا يكن لهم منذ البداية غير الكره – والأذناب.

وهم ذوو أنفة، يتعففون – وقد تكالب غيرهم على الدنيا وما فيها – عن الأسلاب، ولا يسعهم – وقد قدروا – غير الغفران أو العفو:

فَتًى لا تَسُلُبُ القَتْلَـــــى يَداهُ ويَسْلُبُ عَفْوُهُ الأَسْرَى الوِثاقـــا (٩٠).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والواحد منهم – وقد جمع فيه صفات كثيرة مما مضى – مجتمع لكل ما يعشقه المرء في رحلة توقه نحو الكمال:

يَزْحَمُ الدَّهْـــــرَ رُكْنُها عن أذاها بفَتًى مــارِدٍ مـــــــن المُرَّادِ
مُتْلِـفٍ مُخْلِـــــفٍ وَفِيٍّ أَبِـــيٍّ عالِمٍ حازِمٍ شُجاعٍ جَـــــوادِ (٩١).

أو هو – كما وصف نفسه في معرض تلك الفتوة – من ادخره غيره لصروف الزمان بما توافر فيه من الخلال:

قُضاعَـةُ تَعْلَمُ أنِّـــي الفَتَـى الَّـــ ـــذِي ادَّخَـرَتْ لِـصُرُوفِ الزَّمَـانِ
ومَجْـدِي يَـــدُلُّ بَنِـــي خِنْـــدِفٍ علـــى أنَّ كُـلَّ كَـــرِيمٍ يَمَانِـــي
أنَـا ابنُ اللِّقَاءِ أنَـا ابـنُ الـسَّخَاءِ أنا ابنُ الـضِّرَابِ أنَـا ابـنُ الطِّعَـانِ
أنا ابنُ الفَيافِي أنَـا ابـنُ القَـوافِي أنا ابنُ الـسُّروجِ أنَـا ابـنُ الرِّعَـانِ

... إلى آخر تلك الأبيات (٩٢) التي جمع فيها من معاني الفتوة – وخلعها على نفسه – الشيء الكثير؛ بدءًا من الكرم، ومرورًا بالشجاعة والمهابة والإقدام وشدة التحمل والصبر على الشدائد والأزمات، وانتهاء بفخره بالنسب إلى الذات – صاحبة تلك الأفعال العظيمة– لا بالآباء أو الأجداد، فالفخر الحق – في رأيه – هو فخر الإنسان بذاته وبما يصدر عنه من الفعل، لا بالأعمام – وإن لم يمنع في البيت التالي منه – أو الأخوال:

فَخْرُ الفَتَى بالنَّفْسِ والأَفْعَـــالِ من قَبْلِهِ بالعَـــمِّ والأَخْوالِ (٩٣).

والفتوة – وقد قرنها بمثيلات لها كالمروءة والأبوة – هي التي تحول بينه – وهو أعلق ما قاله بالصوفية في هذا الصدد على الإطلاق – وبين التلذذ في خلوته:

وتَرَى الفُتُـــوَّةَ والمُرُوءَةَ والأُبُـ ـــوَّةَ فِـيَّ كُـــلٌّ مَلِيحَةٍ ضَرَّاتُهَـا
هُـنَّ الثَّلاثُ المانِعَـاتِي لَذَّتِـــي في خَلْوَتِي لا الخَـوْفُ من تَبِعاتِها (٩٤).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لقد وصل – ووصلنا معه – في هذين البيتين إلى ما ينبغي أن يصل إليه الصوفي – في نهاية المطاف – من الورع والتقوى ومراقبة الله في سره كمراقبته – على ما ينبغي – له في الإعلان.

هـ – آثار أخرى في الرؤية والمضمون الشعري:

تتغلغل الرؤية الصوفية في شعر المُتَنَبِّي، فتميزه – حين يصدر عنها ويصطبغ على نحو غير معهود بها – عما عداه، وتشكل معجمًا خاصًّا يستمد – أكثر ما يستمد – من مصطلحات القوم وألفاظهم، وتقارب – على نحو ملحوظ – بين لغته ولغتهم، وطريقة تعبيره وأسلوبه وطرائق تعبيرهم وأساليبهم. ويشغلني الآن – وفق الخطة التي ارتأيت – المضمون الشعري ومظاهر تلك الرؤية فيه، وقد تحدثت عن جوانب ثلاثة – هي الأبرز في رأيي – وبقي أن أشير إلى جوانب أخرى لم أتطرق إليها من قبل.

وإذا كنت قد ألمحت إلى " الفناء " – حين تحدثت عن العشق – فسوف أعود إليه الآن لأربط بينه – في سياق الحديث عن "الأحوال" و "المقامات" – وبين "الحلول" و "الاتحاد" وغيرهما مما يتصلان – على نحو من الأنحاء – به.

وهو مقام من أسمى المقامات لديهم؛ أن يفنى العاشق في المعشوق، فلا يرى – كما كان الحَلاَّجُ يقول – غير ذات الله، وتتلاشى ذات المخلوق – الذي سلك الطريق إليه فبلغ الأوج – في ذاته؛ وهو ما قد يعبر – أو يصدر بالأحرى – عنه قول المُتَنَبِّي – وقد مضى –:

ما الخِلُّ إلا مَنْ أوَدُّ بقَلْبِهِ ... وأرَى بطَرْفٍ لا يَرَى بسوائِهِ (٩٥).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فالخل – وفي الكلمة ما فيها من التخلل أو التداخل إن شئت وليس الصديق مطلق صديق أو الحبيب – لا يرى إلا بعين خليله، ولا يود– حين يود– إلا بقلبه، فلا يكون ثمة إلا قلب واحد يحمله الجسدان، وعين واحدة– أو عينان– يرى بها – أو بهما– الاثنان.

وإذا كنت – في بعض الأحيان – تلوم المشتاق – على ما قد يصدر عنه من اللهفة أو البكاء وفقد الإرادة والضعف – فإنك لن تعذره – كما يقول – إلا إذا استطعت أن تتوحد فيه، فتحل أحشاؤك في أحشائه، وينطوي جلدك على ما ينطوي جلده – أو الظاهر منه – عليه:

لا تَعْذِرِ المُشْتاقَ في أَشْوَاقِـــــــهِ حَتَّى يكـونَ حَشاكَ في أَحْشائِهِ (٩٦).

وأشد منه صراحة قوله – على ما فهمه ابنُ جِنِّي وهو أقدر على فهم شعره من غيره – في معرض مدحه لسَيْفِ الدَّوْلَةِ:

أَنَلْتَ عِبادَكَ مـــــــا أَمَّلُوا أَنالَكَ رَبُّكَ مـــــــا تَأْمُلُ (٩٧).

قال ابنُ جِنِّي في تفسيره لهذا البيت – ونقله الواحِدِيُّ عنه وأنكره عليه –: " مننت على عبادك بأن حللت بينهم والكواكب تأمل ذلك فلا تقدر عليه ". وبرغم استبعاد الواحِدِيِّ لهذا التفسير ووصفه له بأنه " تأويل فاسد " فإن الظاهر لا يمنع منه – بل يدعمه – في ظني؛ فالعباد – كما يقول العَكْبَرِيُّ – " أكثر ما تستعمل مضافة إلى الله، والعبيد للناس، والعباد مختص بالخالق ". وحين تصل هذا البيت بما قبله يتأكد لك هذا الزعم؛ فهو يقول – فيما يشبه المفاضلة بين الممدوح والنجوم –:

فَتَبًّا لِدِينِ عَبِيدِ النُّجُـــــــومِ ومَنْ يَدَّعِي أنهـــــــا تَعْقِلُ
وقـد عَرَفَتْكَ فمـــــــا بالُها تَراكَ تَراهـــــــا فـلا تَنْزِلُ
ولـــــــو بِتُّما عندَ قَدْرَيْكما لَبِتَّ وأعْلاكمـــــــا الأَسْفَلُ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولا عليك أن يكون قد رفع منزلته على منزلتها، ولكن انظر كيف قرن بين معرفة النجوم له وعدم خضوعها – وهو ما ينكره عليها – أو السجود بين يديه. وليس من همي هنا الدفاع عن عقيدة المُتَنَبِّي – كما دافع الواحِدِيُّ عنه – ولا تقرير مبدأ إيمانه – على وجه اليقين – بفكرة الحلول – التي اعتنقها بعض غلاة المتصوفة – أو نفيها عنه، بقدر ما يعنيني إثبات تأثره بها في مدحه لسَيْفِ الدَّوْلَةِ – وغيرِه – وكذلك في غير المدح – فالأشياء – وقد اتسع المُتَنَبِّي في مسألة التوحد هذه فلم يقف بها كالصوفية عند ذات المخلوق وذات الله – تتحد لديه بشكل لافت، ويحل بعضها في بعض، كما يحل – في فهم هؤلاء القوم – الخالق – تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا – في المخلوق. لقد أصبح يراه ويرينا إياه – مع اختلاف الدرجة – في كل شيء؛ فهو ومن معه جن تزيا بجلد البشر، وما يركبون – في تنقلهم أو ترحالهم – طير في ثياب جمال:

نَحْنُ رَكْبٌ مِلْجِنٌّ في زِيِّ ناسٍ فوقَ طَيْرٍ لها شُخُوصُ الجِمالِ (٩٨).

وهو خيال أو تصوير يقوم على المبالغة – كما اعتاد البلاغيون أن يقولوا في مثل هذا الكلام – لكن هذا الخيال نفسه قد يحتاج – وهو على هذا النحو من الكثرة – إلى ما يفسره، وقد يكون في الإيمان بفكرة التوحد هذه والاعتقاد بإمكانية حدوثها لدى شعراء الصوفية – والمُتَنَبِّي فيما أفترض من المتأثرين بتلك النزعة في شعره – بعض التفسير.

وانظر – إن شئت – إلى تلك النماذج، واختبر في ضوئها ما أزعم لك أو أقول:

فرَأَيْتُ قَرْنَ الشَّمْسِ في قَمَرِ الدُّجَى مُتَأَوِّدًا غُصْنٌ بِهِ يَتَأَوَّدُ (٩٩).

فالمرأة المعشوقة قد صارت من جنس آخر هو النبات، وهذا النبات قد تشكل في جزء منه – وهو ما يقوم من المرأة مقام الوجه– من القمر، وهذا القمر ليس قمرًا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خالصًا وإنما قمر قد حل فيه– كما ترى– قرن الشمس. والغانيات تحل– أو يحل ريحها – في النبات:

إذا سارَتِ الأَحْداجُ فـــــوقَ نَباتِهِ تَفــاوَحَ مِسْكُ الغانِياتِ ورَنْدُهُ (١٠٠).

والشمس تحل في الممدوح ويحل الممدوح – أو يتردد نوره – فيها:

شَمْسٌ إذا الشَّمْسُ لاقَتْـــــهُ على فَرَسٍ تَرَدَّدَ النُّورُ فيها مـــــن تَرَدُّدِهِ (١٠١).

والمهجو لا يتراءى له بشرًا – كسائر الخلق – وإنما يتراءى له – مذ عرفه وتكشف له جوهره – في صورة قرد:

مازِلْتُ أَعْرِفُـــــــهُ قِرْدًا بلا ذَنَبٍ صِفْرًا من البَأْسِ مَمْلُوءًا من النَّزَقِ (١٠٢).

بينما يتراءى له الممدوح – وقد أقسم على ذلك – بدرًا في السلم وزحلاً في ساحة الوغى والقتال:

أنتَ لَعَمْـــــرِي البَدْرُ المُنِيرُ ولكنَّـــكَ في حَوْمَـــةِ الوَغَى زُحَلُ (١٠٣).

وسحابًا يمطر (١٠٤)، وغمامًا (١٠٥). ويبلغ المُتَنَبِّي درجة من التوحد مع ناقته تجعله يرى بعينيها – كما كان يرى بعين الخليل – ويسمع صوته في صوتها وصوتها في صوته:

عُيُونُ رَواحِلِي إنْ حِـــــرْتُ عَيْنِي وكُلُّ بُغامِ رازِحَـــــةٍ بُغامِي (١٠٦).

وإذا لم يكن في هذا كله – وفي شعره منه الكثير – دليل يبلغ منك القناعة على ما أقول، وشئت التصريح بعيدًا عن هذا التلميح، فاقرأ معي ما قاله في مدح أبي الفَضْلِ الكُوفِيِّ، وقد جاء فيه:

يا أَيُّها المَلِكُ المُصَفَّى جَوْهَـــــرًا من ذاتِ ذِي المَلَكُوتِ أَسْمَى مَنْ سَما
نُـــورٌ تَظاهَـــــرَ فِيكَ لاهُـوتِيَّةٌ فـتكادُ تَعْلَـمُ عِلْـمَ مـــا لـن يُعْلَما

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويَهِـــــمُّ فيكَ إذا نَطَقْتَ فَـصَاحَةً مِـــن كُـلِّ عُـضْـوٍ منـــكَ أنْ يَتَكَلَّـما
أنَـــا مُبْصِـــرٌ وأظُنُّ أنِّي نائـــــمٌ مَـــنْ كَـــانَ يَحْلُـــمُ بالإلـــهِ فَأَحْلُـما
كَبُـــرَ العِيـــانُ عليَّ حتَّى إنَّـــــهُ صـــارَ اليَقِينُ مِـــن العِيانِ تَـوَهُّـما (١٠٧)

واقرأ ما قال الشراح فيه، ثم حاول – إن أردت – أن تجد معنى لهذا الجوهر الصافي، وذلك النور الذي تظاهر فيه، وتلك اللاهوتية، والعيان – أو المشاهدة التي تبلغ حد اليقين – بعيدًا عن فكرة الحلول هذه، ثم فسر لي قوله – وقد بلغ به الشطط مبلغه – " من كان يحلم بالإله فأحلما "؟!

وإذا كان مقام الفناء – وما تجلى عنه من الاتجاه به نحو التوحد والحلول – قد شهد مثل هذا الاحتفال لديه فإن مقامات أخرى عديدة قد تركت صداها – بصورة ملحوظة – في شعره، وصبغته – كما ذكرت – بصبغتها الخاصة، فجعلت منه نموذجًا للشعر الصوفي لدى غير المتصوفين؛ ومن هذه المقامات الرضا بقضاء الله – حلوه ومره – والصبر والاستغفار والتواضع والتوكل والإحسان والحضور والشهود والمعاينة. ففي "الرضا" – وسوف أجتزئ من كل بما يقيم الدليل عليه – نراه يقول – وهو يعزي سَيْفَ الدَّوْلَةِ في أخته –:

جَزاكَ رَبُّكَ بالأَحْـــــزانِ مَغْفِرَةً فحُزْنُ كلِّ أَخِي حُزْنٍ أَخُو الغَضَبِ (١٠٨)

فهو يدعو الله أن يغفر له – إذا كان البيت على الإنشاء لا التقرير – ما بدر منه من الأحزان على أخته؛ لأن هذا الحزن – كالغضب – لا ينبغي له – مهما بلغ المصاب به – ففيه ما قد يشي بعدم الرضا – خاصة حين يخرج بنا الحزن عن حده فيصدر عنا ما لا يليق من الأفعال – بقضاء الله. هكذا قرأ العَكْبَرِيُّ البيت فقال: " يقول: غفر الله لك أحزانك. والحزن مما يستغفر منه، لأن الحزن كالغضب ممن هو تحتك إذا أصابك بما تكره، والحزن ممن هو فوقك، والإنسان إذا حزن على

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مصيبة تصيبه فكأنه غضب على القدر المقدور، حيث لم يجر بمـراده، والغـضب على القدر مما يستغفر منه " [١٠٩]. لقد وقع القضاء فلم يكن أمام الأمير – على هذا الفهم – غير أن يرضى به ويتعالى – مع بشريته – على حزنه، أما وقد حزن فليس أمامه غير الاستغفار، وليس أمام شاعره غير أن يدعو له بالمغفرة.

وفي " الاستغفار " – وقد أطل برأسه في البيت الذي مضى – نراه يقول:

أَستَغْفِرُ اللهَ لشَخْصٍ مَضَـــى كـــانَ نَداهُ مُنْتَهَى ذَنْبِهِ [١١٠].

فهو يستغفر الله له، لا عن ذنب علمه منه أو رآه أثناء صحبته له فيه، وإنما لأن الاستغفار مقام يحرص – كالصوفي – أن يراه الله – إذا ما نظر إليه– عليه، ومـن منا لم يصدر عنه ما يستحق الاستغفار؟ بل إن استغفارنا نفسه – كما تقول رابِعَةُ – في حاجة إلى استغفار.

وفي " الصبر " وعدم الشكوى يقول الـمُتَنَبِّي:

إنَّ الأَسَى القِـــــرْنُ فلا تُحْيِهِ وسَيْفُكَ الصَّبْرُ فلا تُنْبِـــــهِ [١١١].

فالصبر عدة المبتلى لا يمكنه الاستغناء عنه – كالسيف بالنسبة للمجاهد – وهو أداة جهاده – فليلذ به – والأمر كذلك – من ابتلاه الله به، وهو أشبه – كما تـرى – بالوعظ. ومثله – وقد قرنه كسابقه بالبلاء وساقه في إطار النصح والإرشاد –:

حاشاكَ أنْ تَضْعُفَ عـــن حمْلِ ما تَـحَمَّلَ السَّائِـــــرُ فـي كُتْبِـهِ
وقـدْ حَمَلْتَ الثِّقْلَ مـــن قَبْلِـــهِ فأغْنَتْ الشِّدَّةُ عـــــن سَـحْبِهِ
يَدْخُلُ صَبْـرُ المَرْءِ فـــي مَدْحِهِ ويَدْخُلُ الإشْفـــاقُ فـي ثَلْبِـهِ [١١٢].

وإذا كان الصبر مما يتمدح به– كما قرر في البيت الأخير– فقد افتخر– وحـق له الفخر– بشدة تحمله – كأيوب عليه السلام – للآفات:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تَمَرَّسْتُ بالآفـــــــاتِ حتَّى تَرَكْتُها تَقُولُ أَماتَ المَوْتُ أم ذُعِرَ الذُّعْرُ (١١٣)؟

ومدحه في غيره؛ فقال في رثائه لأَبِي الهَيْجاءِ:

ويَبْقَى على مَـــــــرِّ الحَوادِثِ صَبْرُهُ ويَبْدُو كما يَبْدُو الفِرِنْدُ على الصَّقْلِ (١١٤).

وفي " التواضع " والنفور من الكبر:

وإنِّي رَأَيْتُ الضُّـــــرَّ أَحْسَنَ مَنْظَرًا وأَهْوَنَ مـــن مَرْأَى صَغِيرٍ بِهِ كِبْرُ (١١٥).

وفيه كذلك – وهو ما امتدحه وأثنى عليه في بني حَمْدان –:

مُتَصَعْلِكِينَ على كَثَافَـــــــةِ مُلْكِهم مُتَواضِعِينَ على عَظِيمِ الشَّـــانِ (١١٦).

وفي " التوكل " على الله وعدم الثقة فيما عداه:

وهَلْ يَنْفَعُ الجَيْشَ الكَثِيرَ التِفافُهُ على غيرِ مَنْصُورٍ وغيرِ مُعانِ (١١٧)؟

وفي " الإحسان " – وقد آل الزمن بمن فيه إلى حالة قبح لم تسبق، ساد فيها الفساد بكل صوره وأشكاله، واستشرى معها العفن –:

إنَّا لفِي زَمَنٍ تَرْكُ القَبِيحِ بِـــــــهِ من أَكْثَرِ النَّاسِ إحسانٌ وإجْمالُ (١١٨).

وهو الإحسان في زمن التنابلة. وفي " الإخلاص " وعدم الرياء:

دُعـــــــــاءٌ كالثَّناءِ بلا رِياءٍ يُؤَدِّيـــــهِ الجَنانُ إلى الجَنانِ (١١٩).

وقد أناطه بالقلب لأنه عمل من أعماله، وهو يقتضي – إن صح – أن لا يختلف حال المرء في سره عن حاله في الإعلان:

عليكَ مِنْكَ إذا أُخْلِيتَ مُرْتَقَـــبٌ لم تأتِ في السِّرِّ ما لم تأتِ إعلانا (١٢٠).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهذا الرقيب هو الضمير الذي تربى على مراقبة الله والإيمان بأن الله مطلع في كل الأحوال عليه. وهو مقام " الحضور " الذي يجعل صاحبه يشعر أو يحس - وقد نمى فيه الإيمان هذا الإحساس - أنه في حضرة الله، فيشاهده - مشاهدة القلب - ويعاينه - كما جهروا به - حق العيان. يقول المُتَنَبِّي - وفيه أزعم ما يشير إلى هذا المقام -:

قَـــــرُبَ المَزارُ ولا مَزارُ وإنَّما يَغْدُو الجَنـــــانُ فنَلْتَقِي ويَرُوحُ

وفَشَتْ سَرائِرُنـــــا إليكَ وشَفَّنا تَعْرِيضُنا فبَدا لـكَ التَّصْرِيـــحُ (١٢١).

هنالك تتفشى - في تلك الحضرة - الأسرار، وتشف السرائر عما بها، فيعود الكتم إعلانًا، ويحل التصريح محل التعريض. ونلمح أثر هذا المقام في خطاب المُتَنَبِّي للممدوحين؛ فبَدْرُ بْنُ عَمَّارٍ - وكانت تربطه به صلة طيبة وعلائق تقوم على المودة والحب - لا يستطيع حجاب - مهما أمر به - أن يستره فيحول بينه وبين مريديه:

أصبحتَ تَأْمُـــرُ بالحِجابِ لخَلْـوَةٍ هَيْهاتَ لستَ على الحِجـــابِ بقـادِرِ

مَـــنْ كانَ ضَوْءُ جَبِينِه ونَوالُهُ لـــم يُحْجَبا لم يَحْتَجِبْ عـن نـاظِرِ

فـــإذا حُجِبْتَ فأنتَ غيـرُ مُحَجَّـبٍ وإذا بَطَنْتَ فأنتَ عَيْـنُ الظَّـاهِرِ (١٢٢).

وهو مما يخاطب به الصوفيون - وبخاصة البيت الأخير - المولى تبارك وتعالى. ويتخذ المُتَنَبِّي من الشمس مثلاً - وهو مولع في سائر شعره بالأمثال - يقرب به ما يقرره- في هذا المقام- من الحقائق التي يجاري الصوفية في الاعتقاد بها؛ فالشمس يسترها الظلام، ثم تتجلى - بعد غيبتها - للعين، فتحيل الظلام نورًا ويملأ ضوءُها الآفاق، ولا يحول البعد - وهي بعيدة جدًّا - بين الناس وبين رؤيتها؛ يقول:

الشَّمْسُ قـــــد حَلَّتِ السَّماءَ وما يَحْجُبُها بُعْدُها عـــن الحَدَقِ (١٢٣).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويقول – من نص آخر – في شطرة بيت:

والشَّمْسُ تُسْفِـــــرُ أَحْيانًا وتَلْتَثِمُ (١٢٤).

والذكر لديه – كما لدى الصوفيين – هو السبيل إلى الحضور:

إذا مـــــا ذَكَرْنا جُودَهُ كانَ حاضِرًا نَأَى أو دَنَا يَسْعَى على قَدَمِ الخِضْرِ (١٢٥).

فإذا كان الذكر – بصفته كالجود – هو الوسيلة لاستحضار الممدوح، فكذلك ذكر الله سبيله – وسبيلهم – للوصول إلى تلك الحضرة، وللخِضْرِ – الذي يذكره هنـا – حضور واضح في نفوس الصوفية، ومكانة تشرق بها – حين يأتي ذكـره – تلـك النفوس.

ويقترن بهذا المقام العيان أو المعاينة – كما أشرت – فلا يذكر – أو يكاد – إلا ويذكر – على نحو من الأنحاء – معه، وقد مضى قوله في مدح أبي الفَضْلِ الكُوفِيِّ:

كَبُرَ العِيانُ عليَّ حَتَّى إنَّـــــه صارَ اليَقِينُ مـــــن العِيانِ تَوَهُّما

وها هو ذا يقول في غيره – وقد حيل بينه وبين الوصول إليه –:

فكنتُ أَشْهَدَ مُخْتَصٌّ وأَغْيَبَـــــهُ مُعايِنًا وعِياتِي كُلُّـــــهُ خَبَرُ (١٢٦).

ويقول في عَضُدِ الدَّوْلَةِ – حين قدم عليه –:

ولا تُحْصَى فَضائِلُـــــــهُ بظَنٍّ ولا الإخْبارُ عنـــــه ولا العِيانُ (١٢٧).

ويقترن الذوق – وهو من عمل الحواس – أو التذوق – كالعيان – أحيانًا أخرى به؛ كما في قوله:

فذُقْتُ ماءَ حَياةٍ مـــــــن مُقَبِّلِها لو صابَ تَرْبًا لأَحْيا سالِفَ الأُمَمِ (١٢٨).

وهو يقوم كما ترى – كسائر شعر المتصوفة – على الإشـــارة والرمـــز، وإلا فليس هناك تذوق – أو تقبيل – على الحقيقة، وإنما هو – في عرفهم – تعبير حسي – يتردد كالخمر كثيرًا في شعرهم – للتأكيد على الوصول.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢

الإفراط والغلو

يفرط الـمُتَنَبِّي في شعره إفراطًا يذكرني – على الفور – بإفراط الصوفية في شعرهم، ويغالي حتى يبلغ – في بعض الأحيان – حد الإحالة والوهم، ويشطح – أحيانًا أخرى – شطح (المجذوب)، فلا تميز شعره – حين يمتطي تلك الصهوة – عن شعر هؤلاء القوم – وهم يصفون مواجيدهم – من أهل الذوق. يمدح – أو يرثي أو يفخر أو يخوض في غيرها من الموضوعات – فتشعر – وقد أطلق حولك هالة من دخان الخيال – أنك بين يدي ولي – لا ممدوح كسائر البشر أو مرثي أو نحوه – من الأولياء؛ له ما لهم من الصفات – وهذا مقام لم أتحدث عنه من قبل – تفردًا ووحدانية، وخيرية أو أفضلية، وأعاجيب وكرامات، وأحوال لا تشبهها – فيما سوف ترى – الأحوال.

أ – تفرد الممدوح ووحدانيته:

نوع من التوحيد غريب، يخلعه الـمُتَنَبِّي – فيما يدلك على هذا الإفراط والغلو – على الممدوح – بالمعنى الواسع الذي يشمل فيما يشمل المرثي والمتغزل به ونحوهما – من البشر، فينأى به – كما ينأى الصوفي حين يحدثك عن ولي من الأولياء أو مقرب من المقربين من الله – عن حدود البشرية، ويلقي به في مصاف أعلى من مصافي الناس، ويبدو المخلوق حينئذ – وقد تنزه عن الشبيه أو المثيل – كالخالق – تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا – في أبرز ما يخصه تعالى – وهو الوحدانية – من الصفات؛ فالله { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ }، وهؤلاء يتفرد كل منهم– تفرد (القطب)– عمن سواه؛ فسَيْفُ الدَّوْلَةِ – وفيه كان يرى نفسه– ليس له كفوًا أحد:

إنِّي دَعَوْتُكَ للنَّوائِبِ دَعْـــوَةً ... لم يُدْعَ سامِعُها إلى أكْفائِـــهِ (١).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهو – ويراهن على ذلك حتى بالدين – لا مثيل – فيما مضى ولا فيما سيجيء – له:

إنْ كانَ مِثْلُكَ كانَ أو هـــو كائنٌ فبَرِئْتُ حِينَئِذٍ مِـــن الإسْلامِ (٢).

لقد أعيا – على من حاوله – التشبه به؛ إذ ليس له – فيما يرى – شبيه أو مثيل، فلو أردت – أو أراد أحد مريديه – له الخلود دعوت – ودعا – أن يبقى حتى يرى – ولن يرى – مثيلاً أو شبيهًا له:

مَـــنْ تَعاطَى تَشَبُّهًا بكَ أعْيا هُ ومَـــن دَلَّ في طَرِيقِكَ ضَلاَّ

فإذا مـــا اشْتَهَى خُلُودَكَ دَاعٍ قـــالَ لا زِلْتَ أو تَرَى لكَ مِثْلا (٣).

وبَدْرُ بْنُ عَمَّارٍ – كَسَيْفِ الدَّوْلَةِ – بلا مثيل، وإن توزع حسنه – فنال كل حسن منه قسطًا – في كل مَثَلٍ – أو مثاليٍّ – جميل:

بِلا مِثْلٍ وإنْ أبْصَرْتَ فِيـــهِ لكُـــلِّ مُعَيَّنٍ حَسَنٍ مِثالا (٤).

فمثله لم يكن قط، وأبدًا لن يكون:

مِثْلُكَ يا بَدْرُ لا يكـــونُ ولا يَصْلُـــحُ إلا لِمِثْلِكَ الدُّوَلُ (٥).

فلا غرابة – والأمر كذلك – إن أجاب بالنفي مرات – ولألأ حتى ترك لغيره مغمزًا فيه – على من سأله – وألح متغابيًا في السؤال –: أله مثال أو نظير؟

جَوابُ مُسائِلي أَلَـــهُ نَظِيرٌ ولا لكَ فـــي سُؤالِكَ لا ألا لا (٦).

لقد قضى الله – فيما قضى – ألا يكون له مثل أو ند أو شبيه:

يا بَدْرُ إنَّكَ والحَدِيثُ شُجُـــونُ مَنْ لم يكنْ لِمِثالِـــهِ تَكْوِينُ (٧).

وعَضُدُ الدَّوْلَةِ – مثلهما في توحده – فرد فذ لا ثاني له:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فـــــــإنَّ النَّاسَ والدُّنْيا طَرِيقٌ إلى مَنْ ما لـــــــه في النَّاسِ ثانِي

فمـــــــا يُسْمَى كفَنَاخُسْرَ مُسْمٍ ولا يَكْنَـــى كفَنَاخُسْرَ كانِـــي (٨).

وفانِكٌ – كالشمس في تفردها – لا يشبهه أحد – فيقال كفانِكٍ – ولا يشبه أحدًا:

كفانِكٍ ودُخُـــــولُ الكافِ مَنْقَصَةٌ كالشَّمْسِ قلتُ وما للشَّمْسِ أمْثالُ (٩).

وعُمَرُ بنُ سُلَيْمَانَ – شأنه في ذلك شأن سابقيه – يجل كذلك عن التشبيه:

يَجِلُّ عـــن التَّشْبِيهِ لا الكَفُّ لُجَّةٌ ولا هـــو ضِرْغامٌ ولا الرَّأْيُ مِخْذَمُ (١٠).

فهو أجلُّ – وفي الكلمة ما فيها من التقديس والتعظيم – من أن يقال في وصفه – كما يقال في غيره – إنه الأسد شجاعة أو البحر جودًا أو ما أشبه، فما تلك – في رأيه – إلا دونه بكثير، إنه أعظم من كل شيء يمكن أن يقاس عليه، وتلـك حالـة خاصة به لا يشركه فيها سواه، لأن مثيله معدوم:

مَحَلُّكَ مَقْصُودٌ وشانِيكَ مُفْحَـــمٌ ومِثْلُكَ مَفْقُـــودٌ ونَيْلُكَ خِضْرَمُ (١١).

ولأنه في الناس – وقد عز أن يكون هناك مثيل له – كالعنقاء – غرابة – فـي الطير:

وأَغْرَبُ مـــن عَنْقَاءَ في الطَّيْرِ شَكْلُهُ وأَعْوَزُ مـــن مُسْتَرْفِدٍ منه يُحْرَمُ (١٢).

ومُحَمَّدٌ – أبو ممدوح له – لم يخلق المولى تبارك وتعالى أحدًا مثله، ولن يخلق – في ظنه– له مثلاً، وهو ما أرجف – كعادته في هذا الصدد – به، فاجتمع له مـع الغلو الإرجاف، وكلاهما مما عرف عنه:

أَمُرِيدَ مِثْلِ مُحَمَّدٍ فـــــي عَصْرِنا لا تَبْلُنا بِطِلابِ مـــــــا لا يُخْلَقُ

لـــــم يَخْلُقِ الرَّحْمَنُ مِثْلَ مُحَمَّدٍ أَحَدًا وظَنِّي أَنَّـــــهُ لا يَخْلُقُ (١٣).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أو لعله – كالشيعة – لم يرد ما أوهم به؛ فقد يكون مُحَمَّدٌ المذكور – وليس هنالك ما يمنع منه – ليس أبا الممدوح – على ما يوحي ظاهره – وإنما هو النبي صلى الله عليه وسلم، فلا يكون ثمة غلو – إن عنى بالخلق خلق البشر على وجه خاص – أو إرجاف. لكن قراءة هذين البيتين – أو بالأحرى إعادة قراءتهما – على هذا النحو لا يتحقق – بالصورة نفسها – في سائر الأبيات، وفيما سقت لك ما يكفي – أزعم – للاستدلال.

وهذه شواهد أخرى من شعره – بعضها قاله في مغمورين كأبي الفَضْلِ الكُوفِيِّ وبعضها قاله في مجهولين – أؤكد بها ما أقول؛ فمما قاله في أبي الفَضْلِ – وقد مضى –:

كصِفاتِ أَوْحَدِنا أَبِي الفَضْلِ التي ... بَهَرَتْ فأَنْطَقَ واصِفِيهِ وأَفْحَما.

ومما قاله في غيره:

مَنْ قالَ لستَ بخَيْرِ النَّاسِ كُلِّهِمِ ... فجَهْلُهُ بِكَ عندَ النَّاسِ عاذِرُهُ

أو شَكَّ أنَّكَ فَرْدٌ في زَمانِهِمِ ... بلا نَظِيرٍ ففِي رُوحِي أُغامِرُهُ (١٤).

وقوله:

أُحِبُّ التي في البَدْرِ منها مَشابِهٌ ... وأَشْكُو إلى مَنْ لا يُصابُ له شَكْلُ

إلى واحِدِ الدُّنْيا إلى ابنِ مُحَمَّدٍ ... شُجاعِ الذي للهِ ثم له الفَضْلُ (١٥).

وقوله:

فكنْ كما أنتَ يا مَنْ لا شَبِيهَ لهُ ... أو كيفَ شِئْتَ فما خَلْقٌ يُدانِيكا (١٦).

بل إن هذه الدعوى – أو تلك النغمة التي عزف عليها من نغمات الصوفية – نلمحها كذلك فيما افتخر فيه بنفسه؛ حين نسمعه يقول:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ونَفْسٍ لا تُجِيبُ إلـــــى خَسِيسٍ وعَيْنٍ لا تُـــــدارُ على نَظِيرِ (١٧).

أو يقول:

إنْ أكـــــنْ مُعْجَبًا فعُجْبُ عَجِيبِ لم يَجِدْ فَوْقَ نَفْسِهِ مـــن مَزِيدِ (١٨).

أو يقول:

أَمِطْ عَنْكَ تَشْبِيهِي بما وكأنَّـــــــهُ فما أَحَدٌ فَوْقِـــي ولا أَحَدٌ مِثْلِي (١٩).

فهو – كمن مدح – متفرد – تفرد الفذ الأوحد – في ذاته، وفيما يتعلـق بتلـك الذات من الصفات.

ب – علمه وإرادته وخيريته على الإطلاق:

ومما اشتط فيه – مقلدًا للصوفيين في تصورهم لشيوخهم ولسادتهم وأئمـتهم – تلك الخيرية التي يطلقها – محتاطًا في بعض الأحيان وغير محتاط في أحايين أخرى كثيرة – على ممدوحيه – بالمعنى الواسع كذلك للمدح – وفيهم من لم يحتفـل بـه التاريخ أو يرفع لـه ذكرًا، وتلك الصفات الخاصة – التي يعتقدها بعض الـصوفية في أعلام طريقتهم – كالعلم الذي يكاد يخترق حجب الغيب أو المجهول – وهو العلم اللَّدُنِّيُّ – والهيبة التي تتجاوز حدود المعقول لتصل إلى حد الرهبة، والقـدرة علـى التصرف فيما تجيء به الأقدار.

فلا يكاد أحد من ممدوحيه – وفيهم من غلب الشر على خيره – يخلـو – فـي تصوره أو تصويره له – من تلك الخيرية، ولا يكاد كذلك يخلو من تلك الـصفات، وكأنها نغمة لا يمل – وقد أجاد العزف عليها – من تكرارها، وفيهم من كان يثمـل حين يسمعها، ومن يطربه – في عصر ساد فيه الغلو – ترديدها، بل من يدفعـه – بطريقة أو بأخرى – نحوها، ويحثه – غير مستنكر له – عليها. وكان هو من جهته

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يشبع تلك الرغبة في الممدوحين، ويغلو حتى يصل به الغلو إلى حد الوهم، ويشتط حتى يصل بشعره إلى درجة ينكرها الدين ويأباها العقل.

وقد عدوا عليه – في مآخذهم – هذا الغلو والإفراط، ومثلوا له بشعر يتصل أكثره بهذا الجانب ويتعلق به على نحو من الأنحاء، وقد مر منذ قليل قوله – في مجهول –:

مَنْ قالَ لستَ بخَيْرِ النَّاسِ كُلِّهِمِ فجَهْلُهُ بكَ عندَ النَّاسِ عاذِرُهُ.

وهو مثال لما نحن بصدده؛ فصاحبه – والله أعلم بحاله منا ومنه – خير الناس – دونما استثناء – ومن لا يسلم بهذا الحكم فلا عذر له – في رأيه – غير الجهل به، فرماه – كما ترى – بالجهل إن لم يعترف بتلك الخيرية للممدوح، وجعله ممن يلتمس – عند الناس – له الأعذار.

والحُسَيْنُ بنُ إِسْحَقَ التَّنُوخِيُّ "خير من تحت أديم السماء "، فأضاف إلى البشر غيرها من المخلوقات:

أأنْطِقُ فيكَ هُجْرًا بعدَ عِلْمِي بأنَّكَ خيرُ مَنْ تحتَ السَّماءِ (٢٠)؟

والحُسَيْنُ بنُ عَلِيٍّ الهَمَذانِيُّ – هو وأبوه – خير قومه، وقومه خير الناس، يستوي بعدهم – وبعده وبعد أبيه – العبيد والأحرار:

وَجَدْتُ عَلِيًّا وابْنَهُ خَيْرَ قَوْمِهِ وهمْ خيرُ قَوْمٍ واسْتَوَى الحُرُّ والعَبْدُ (٢١).

وبَذْرُ بنُ عَمَّارٍ خير من يمشي على وجه البسيطة:

سَلامُ الذي فوقَ السَّمواتِ عَرْشُهُ تُخَصُّ بِهِ يا خيرَ ماشٍ على الأَرْضِ (٢٢).

ولا يصلح العباد – جميع العباد – أن يكونوا – وقد وضعهم بلا استثناء في كفة – شمال شيء يكون بَذْرٌ له يميناً:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأُقسِمُ لـــــــو صلَحتَ يَمينَ شَيْءٍ لما صَلَحَ العِبادُ لَـــــــهُ شِمالا (٢٣).

وعَلِيُّ بنُ أَحْمَدَ الخُرسانِيُّ أوفى من طلعت عليه الشمس ذمة أو مر عليه ليل أو نهار:

بِذِي كَرَمٍ مـــــــا مَرَّ يَوْمٌ وشَمْسُهُ على رَأسِ أَوْفَى ذِمَّـــةً منه تَطْلُعُ (٢٤).

وفاتِكٌ الأَسَدِيُّ حاز الحمد وحده، فلم يدع في الخلق محمودًا سواه:

تَمَلَّكَ الحَمْدَ حَتَّى مـــــــا لمُفْتَخِرٍ في الحَمْدِ حـــاءٌ ولا ميمٌ ولا دالُ (٢٥).

والمُغِيثُ بنُ عَلِيٍّ العِجْلِيُّ أعطاه الله – ففضله على جميع الخلق – ما لم يعطـــه أحدًا غيره:

وأُعطِيتَ الذي لـــــــم يُعْطَ خَلْقٌ عليكَ صَلاةُ رَبِّـــــكَ والسَّلامُ (٢٦).

أما سيفه – وهو المقدم عنده على الدوام – فأكرم الناس – باستثناء آبائه –:

وأَكْـــــرَمُ النَّاسِ لا مُسْتَثْنِيًا أَحَدًا مـــن الكِرامِ سِوَى آبائكَ النُّجُبِ (٢٧).

وأجل مثاب:

فعُوِّضَ سَيْفُ الدَّوْلَـــــــةِ الأَجْرَ إنَّهُ أَجَلُّ مُثابٍ مـــــن أَجَلِّ مُثِيبِ (٢٨).

وأحسن الخلق طرًّا:

قـــــد زُرْتُهُ وسُيُوفُ الهِنْدِ مُغْمَدَةٌ وقـــــد نَظَرْتُ إليهِ والسُّيُوفُ دَمُ

فكانَ أَحْسَنَ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِـــــــمِ وكانَ أَحْسَنَ ما في الأَحْسَنِ الشِّيَمُ (٢٩).

فلا عجب – والأمر كذلك – إن خاطبه – منتشيًا بخيريته تلك ومعددًا لـــبعض أوجه الفضل والكمال فيه – على هذا النحو:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يا أكْـــــرَمَ الأكْرَمِينَ يا مَلِكَ الأمْـ ـــلاكِ طُـــــرًّا يا أصْيَدَ الصِّيدِ (٣٠).

وملك الأملاك – أو الملوك – هو مما يخاطب به المولى عـز وجـل؛ وقلمـا يخاطب به – كما خاطب الـمُتَنَبِّي – البشر. وتشعر حين تقرأ شعر الـمُتَنَبِّي – أو تعيد قراءته – أنك في حَضرة ممدوح يتمتع بصفات خاصة، أو قدرات فوق العادة، يتميز – كالصوفي – بها؛ فعلمه لا يقوم على الاكتساب – كما يقوم لـدى غيـره – وإنما هو إلهام يشرق في النفس أو تشرق النفس به؛ فالتجريب – وهي مرحلة أولى يشترك فيها مع الآخرين لتحصيل العلم – يكفيه الفكر، ثم لا يلبث أن يتجاوز تلـك المرحلة – مرحلة التجريب – إلى الإلهام فيكتفي به عنه:

وكَفَتْكَ التَّجارِبُ الفِكْـــــرَ حَتَّى قَـــــد كَفاكَ التَّجارِبَ الإلْهامُ (٣١).

وهو علم لا يقف – كسائر العلم – عند ما مضى، وإنما يمتد ليشمل ما سـوف يحدث أو يجيء:

ويَعْرِفُ الأمْـــــــــرَ قبلَ مَوْقِعِهِ فما لـــــــــه بعدَ فِعْلِهِ نَدَمُ (٣٢).

فيستوي لديه أواخر الأشياء ونهاياتها، ويصيرا معًا – وقـد احتـوت الرؤيـة الطرفين – في حبل واحد مقترنين:

قَـــــد صَيَّرَتْ أوَّلَ الدُّنْيا أواخِرَها آباؤُهُ مـــــــن مُغارِ العِلْمِ في قَرَنِ

كأنَّهم وُلِدُوا مـــــن قَبْلِ أنْ وُلِدُوا أو كانَ فَهْمُهُمُ أيَّامَ لـــم يَكُنِ (٣٣).

بل لكأنه يقرأ ما سوف يكون – وهو الغيب – من لوح مكتوب:

مُسْتَنْبِطٌ مـــــن عِلْمِهِ ما في غَدٍ فكأنَّ مـــــا سيكونُ فيه دُوِّنا (٣٤).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهذا العلم – كما ترى – بالغيب – وقد تفتق عن حدة ذهنه أو تفتق حدة ذهنه عنه – يقين لا يعتريه – ولا يتأتى معه – الوهم:

نَفَتِ التَّوَهُّـــــمَ عَنْهُ حِدَّةُ ذِهْنِهِ فقَضَى على غَيْبِ الأُمُـــورِ تَيَقُّنا (٣٥).

إنه النور – لا الألمعية – الذي يشرق في قلبه، فيشرق الجبين بما في القلــب، وتشرق التيجان بما في الجبين؛ إشراق اللفظ بالمعنى:

تُشْرِقُ تِيْجانُـــــــــهُ بغُرَّتِهِ إشْراقَ أَلْفاظِـــــــهِ بمَعْناها (٣٦).

أو هو – كما فهمه بعض الشراح – " لاهوتية " يعلم بها – كما لا يعلــم أحــد غيره من سائر الناس – الغيب:

نُورٌ تَظاهَـــــــرَ فيكَ لاهُوتِيَّةٌ فتَكادُ تَعْلَمُ عِلْمَ مـــا لن يُعْلَما (٣٧).

فعلم " ما لن يعلم " هو – في رأيي – أشد خصوصية من علم ما لم يعلم؛ لأنــه موقوف – في المعتقد الصوفي – على " الصفوة " المختارة، ومنه معرفة الــصفات على وجه اليقين – عين اليقين – والاسم الأعظم لله؛ يقول العَكْبَرِيُّ في شرح هــذا البيت: " المعنى: يقول قد ظهر فيك نور إلهي تكاد تعلم به الغيب الذي لا يعلمــه إلا الله تعالى ".

ويشتط الــمُتَنَبِّي في تقدير هذا العلم الخاص، فيجعله – وقد بلغ بــه الإفــراط مبلغه – مما يغني – لو تقسمه البشر – عن الأنبياء والرسل وكتب السماء؛ يقول في ممدوح له:

لـــــو كــان عِلْمُكَ بالإلَهِ مُقَسَّمًا في النَّاسِ مـــــا بَعَثَ الإلَهُ رَسُولا

أو كانَ لَفْظُكَ فيهمُ مـــا أَنْزَلَ الـــ قُـــرْآنُ والتَّـــوْرَاةَ والإنْجِيـــلا (٣٨).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويلح – إلحاح الصوفية – على ربطه بالقلب – دون العقل – ففيه ينبت نبت الكمأة، ويقذف – أول ما يكون – به الله. ونراه من ثم يقرنه تارة بالفطنة:

فَطِنَ الفُؤَادُ لِمـــا أَتَيْتُ على النَّوَى ولِما تَرَكْتُ مَخافَـــةً أنْ تَفْطِنا (٣٩).

وتارة أخرى بالذكاء:

تَخالُهُ مـــن ذَكاءِ القَلْبِ مُحْتَمِيًا ومن تَكَرُّمِـــهِ والبِشْرِ نَشْوانا (٤٠).

وهما – الفطنة والذكاء – مما يوصف به عادة العقل – لدى غيره من الشعراء – لا القلب أو الفؤاد.

ويلح كذلك على وصف الممدوح – وهو بصدد الإشارة إلى علمه – بـالبحر – كما يصفه الصوفيون – واللج الذي ليس لـه قرار؛ يقول في بعضهم:

عَلاَّمَةُ العُلَمـــاءِ واللُّجُّ الذي لا يَنْتَهِي ولكلِّ لُـــجٍّ ساحِلُ (٤١).

ويقول في آخر:

يَتِيهُ الدَّقِيقُ الفِكْـــرِ في بُعْدِ غَوْرِهِ ويَغْرَقُ في تَيَّارِهِ وهـــو مِصْقَعُ (٤٢).

وقد يقرن البحر بالشمس حين يريد التأكيد على معنى النور – أو النورانيـة – كما في قوله:

بَحْرٌ يكـــونُ كلُّ بَحْرٍ نُونَهُ شَمْسٌ تَمَنَّى الشَّمْسُ أنْ تَكُونَهُ (٤٣).

لكنه – في كلٍّ – يشتط حتى يبلغ حد الوهم، ويفرط مثل هذا الإفـراط الـذي نلمحه في قوله:

فَتًى أَلْفُ جُزْءٍ رَأْيُـــهُ في زَمانِهِ أَقَـــلُّ جُزْءٍ بَعْضُهُ الرَّأْيُ أَجْمَعُ (٤٤).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فهذا الرأي وتلك البصيرة المنبثقان – في رأيي – عن هذا النوع الخاص من العلم أجزاء – لو أمكن تجزئته – كثيرة – فالألف لا تدل على ذاتها بقدر ما تشير إلى الضخامة والكثرة – وأقل جزء من هذه الأجزاء – بل بعض هذا الأقل إن أمكن تبعيضه كذلك – هو الرأي – رأي الورى– أجمع. وقد أجهد نفسه – كما ترى – وأجهدنا معه في تقدير هذا العلم.

أما الإرادة فتتخطى لديه كل حدود الإمكان؛ إذ نلمح ممدوحه – وهو العاجز الضعيف – يقف كالند – وليس بعجيب منه الإفراط – للقضاء؛ فلا يصدر هذا الأخير – وقد احتاط باستخدام كأن – إلا عنه:

نَفَذَ القَضاءُ بما أَرَدْتَ كأنَّـــه لكَ كُلَّمـــا أَزْمَعْتَ شَيْئًا أَزْمَعا (٤٥).

بل هو – إن شئت موازنة – أمضى – في كل أمر – منه:

وأَكْرَهُ مـــن ذُبابِ السَّيْفِ طَعْمًا وأَمْضَى في الأُمُـــورِ من القَضاءِ (٤٦).

وأشد – فيما يتعلق بالأرزاق – نفوذًا:

فما تَرْزُقُ الأَقْدارُ مَـــنْ أَنْتَ حارِمٌ ولا تَحْرِمُ الأَقْدارُ مَنْ أَنْتَ رَازِقُ (٤٧).

فكأن الأقدار تجيء – وقد جعلها تابعة له – وفق إرادته وهواه. وقد بلغ من تحكمه في الأشياء – ومنها الفلك الدوار – أن الشمس لا تشرق – حين تشرق – ولا تغيب إلا بإذن منه:

ولا تُجاوِزُهـــا شَمْسٌ إذا شَرَقَتْ إلا ومنه لهـــا إِذْنٌ بتَغْرِيبِ (٤٨).

فكيف يتحدث الناس – وفيهم من يعتقدون في الأنواء وقدرتها – عن تأثير الكواكب في الإنسان ولا يلتفتون إلى تأثيره – وهو من هذا الجنس البشري – فيها وقدرته على التحكم بها؟!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يَقُولُـــونَ تَأثِيرُ الكَواكِبِ في الوَرَى فما بالُـــــهُ تَأثِيرُهُ في الكَواكِبِ (٤٩)؟

إنه لو أراد – وليس لإرادته حد أو منتهى – أن يوقف الفلك الدوار عن الدوران لأوقفه:

لـــــو الفَلَكُ الدَّوَّارُ أبْغَضْتَ سَعْيَهُ لَعَوَّقَهُ شَيْءٌ عـــــن الدَّوَرانِ (٥٠).

ولو أشار إلى السماء بوجهه لحزت له الشعرى وسجدت – حين تراه – إجلالاً له واحتفاء به، ولانكسف البدر وغاض النور من سطحه:

مَتَى مـــــا يُشِرْ نحوَ السَّماءِ بِوَجْهِهِ تَخِرُّ لـــه الشِّعْرَى ويَنْكَسِفُ البَدْرُ (٥١).

وهو كذلك – في رؤيته المفرطة تلك – قد صوره الله كما شاء – وكأن مشيئته كانت ولا وجود له – فجرى القدر في خلقه – كما جرى في غير الخلق – عن أمره:

مَلِكٌ تَصَوَّرَ كيفَ شاءَ كأنَّمـــــا يَجْرِي بفَصْلِ قَضائـــــهِ المَقْدُورُ (٥٢).

وأراد فيه ما أراد لنفسه:

سِرْ حَيْثُ شِئْتَ يَحُلُّـــــهُ النَّوَّارُ وأَرادَ فِيكَ مُـــــرادَكَ المِقْدارُ (٥٣).

ولقد أعطاه الله ما لم يعطه أحدًا قبله، فجعله يتحكم في الورى؛ إحيـــاء وإماتـــة وإعزازًا وإذلالاً وقهرًا:

يا مَلِيكَ الوَرَى المُفَـــــرِّقُ مَحْيًا ومَماتًا فيهـــــم وعِزًّا وذُلاَ (٥٤).

فهو يعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويهب الأعمار ويفنيها:

وإذا تَنَكَّـــرَ فالفَنـــاءُ عِقـــابُـــــهُ وإذا عَفا فعَطَاؤُهُ الأَعْمـــــــارُ

يا مَنْ يَعِزُّ على الأَعِـــــزَّةِ جارُهُ ويَذِلُّ مـــــن سَطَواتِهِ الجَبَّارُ (٥٥).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإذا كان الدهر- كما ردد الشعراء منذ القدم - يقهر الإنسان ويسحقه، ولا يستطيع أحد مهما أوتي - في صراعه الأزلي معه - الانتصار عليه، فإن ممدوح المُتَنَبِّي- وقد بلغ به الإفراط مبلغه في تجسيد إرادة هذا الممدوح- هو الذي يبليه وينتصر عليه ويقهره:

كَذَبَتْهُ ظُنُونُهُ أنتَ تُبْلِيهِ وتَبْقَى في نِعْمَةٍ لِيسَ تَبْلَى (٥٦).

ويكفي - إن أراد - صروفه، فلا تدور له دائرة- كما تدور - على العباد:

في فَيْلَقٍ مِن حَدِيدٍ لو قَذَفْتَ بِهِ صَرْفَ الزَّمانِ لَما دارَتْ دَوائِرُهُ (٥٧).

ويحيط به فيأتيه من بين يديه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته:

فأَتَيْتَ من فَوْقِ الزَّمانِ وتَحْتِهِ مُتَصَلْصِلاً وأمامِهِ ووَرائِهِ (٥٨).

ويشتمل - مع ما في هذا الاشتمال من القدرة - عليه:

أَيَنْفَعُ في الخَيْمَةِ العُذَّلُ وتَشْمَلُ مَنْ دَهْرَها يَشْمَلُ (٥٩)؟

ويطيعه الليل والنهار - وهما مفردتان من مفردات الزمن - فيأتمران بأمره - وله عليهما أمر ونهي - وينتهيان - خوفًا ورهبة - عما ينهاهما عنه:

هابَكَ اللَّيْلُ والنَّهارُ فلو تَنْهاهُما لم تَجْرِ بِكَ الأَيَّامُ (٦٠).

ويفيت الليالي كل ما يأخذ منها:

تُفِيتُ اللَّيالِي كلَّ شَيْءٍ أَخَذْتَهُ وهُنَّ لما يَأْخُذْنَ منكَ غَوارِمُ (٦١).

ويجيز حكمه حتى على الشمس:

فجازَ لهُ حَتَّى على الشَّمْسِ حُكْمُهُ وبانَ لهُ حَتَّى على البَدْرِ مِيسَمُ (٦٢).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولا غرابة – إن كان الأمر على هذا النحو– حين نراه وهو يقود الزمان– ممتلكًا زمامه – كما يقود الدابة من دوابه، أو يجعله يتبعه ويقتص خطاه:

فَتًى يَتْبَعُ الأَزْمانُ في النَّاسِ خَطْوَهُ لكلِّ زَمانٍ في يَدَيْهِ زِمامُ (٦٣).

ولا غرابة كذلك إن جعله أمضى – في الروع – من ملك الموت، وأسرى – في الظلام – من الخيال:

فهو أَمْضَى في الرَّوْعِ من مَلَكِ المَوْتِ وأَسْرَى في ظُلْمَةٍ مِن خَيالِ (٦٤).

أو جعل لسطوته منكبًا يزعزع – إن غضب – به السماء:

مُتَكَشِّفًا لِعِداتِهِ عَن سَطْوَةٍ لو حَكَّ مَنْكِبُها السَّماءَ لَزَعْزَعا (٦٥).

أو جعله يصيب – أو يكاد – الشيء قبل أن يرميه؛ إذ يكفي مع مثله ليكون الشيء أن يريد:

يكادُ يُصيبُ الشَّيْءَ مِن قَبْلِ رَمْيِهِ ويُمْكِنُهُ في سَهْمِهِ المُرْسَلِ الرَّدُّ (٦٦).

أو جعل ما يفعل مفعولاً قبل أن يفعله، وكأن ما ينوي – بمجرد أن ينويه – يكون:

يكادُ مِنَ صِحَّةِ العَزِيمَةِ ما يَفْعَلُ قبلَ الفِعالِ يَنْفَعِلُ (٦٧).

أو جعل مضارعه يتحول – في لا زمن – إلى الماضي، قبل أن تلقى أدوات الجزم عليه:

إذا كانَ ما تَنْوِيهِ فِعلاً مُضارِعًا مَضَى قبلَ أنْ تُلْقَى عليهِ الجَوازِمُ (٦٨).

فتلك إرادة لا يعجزها – وهو ما حاول أن يوهمنا به – المستحيل، أو قل هو الإفراط في أقصى صوره، وقد بلغ – كما رأيت – ما بلغه على يديه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جـ - أعاجيب وكرامات:

تمتلئ كتب الصوفية بالحديث عما اختص به المولى تبارك وتعالى أولياءه من الخوارق - كما اختص رسله بالمعجزات - والأعاجيب - التي يعجز سائر البشر عنها - والكرامات، ويجنح المُتَتَبِّي جنوحهم - متأثرًا بهم أو متصنعًا لهم في هذا الاتجاه - فيخلع على ممدوحيه - ومن هم لديه أهل للثناء - من الأوصاف والأفعال - ونحوها - ما يصلهم - على نحو من الأنحاء - بهؤلاء الأولياء، وبخاصة العوام الذين تشبعوا بهذا الفكر وصارت تلك الأشياء لديهم في مصاف المعتقدات؛ لا يتطرق إليها الشك - إلا إذا تطرق إلى العقيدة نفسها - ولا ينال منها - كما قد ينال لدى الخاصة - الارتياب؛ فالأمر منوط - في أوله وآخره - بقدرة الله - ولا حدود لتلك القدرة - واصطفائه لمن شاء أن يصطفي - ممن هو أهل للاصطفاء - من العباد.

ويمتزج الخيال لديه - حين يخوض في هذا الجانب - بخيال العامة، فيستمد من الأوساط الشعبية - وقد التصق بها - مادته، ويشكلها وفق هذا الالتصاق، وإلا فما تلك البركة التي تظهر في غرة مولود - منبئة عما سيكون له من شأن - لا يزال في مهده؟

حَلَفَتْ لِذا بَرَكـــــاتُ غُرَّةِ ذا ... في المَهْدِ أنْ لا فاتَـــــهُ أَمَلُ (٦٩).

وما هذا السؤر الذي تستسيغه النفس فيكون لديها - وقد حرصت على الفوز به - أحلى من المسك والعسل؟

ما أَسْأَرَتْ في القَعْبِ مـــــن لَبَنٍ ... تَرَكَتْهُ وهـــــو المِسْكُ والعَسَلُ (٧٠).

وما هذا الحلي الذي يتحلى بصاحبه - فيأخذ منه الجمال - ولا يتحلى - كالمعتاد - صاحبه به؟

حَلْيًا تَحَلَّى مِنْكَ بالجَمـــــالِ (٧١).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وما هذا الكي الذي يشفي من الداء – وهو غير الكـي المعـروف لـديهم – فيستدعي القيام لمن قام به والانقياد التام له؟

قِيامًا لمَنْ يَشْفِي مـــــن الدَّاءِ كَيُّهُ ومــن بينِ أُذْنَيْ كلِّ قَرْمٍ واسِمُهْ (٧٢).

وما هذا النظر الذي يشفي العيون من الرمد، ومن ذا الذي تشفى به تلك العيون؟

مَدَحْتُ أَباهُ قَبْلَـــــهُ فشَفَى يَدِي من العُدْمِ من تَشْفَى بِهِ الأَعْيُنُ الرُّمْدُ (٧٣).

وتشفى القلوب به، فيزول عنها – وعن النفوس والأرواح – الإعيـاء، ويعـود إليها – كما يعود إلى العيي من المطي – نشاطها:

إذا ظَفِـــــرَتْ منْكَ العُيُونُ بنَظْرَةٍ أَثابَ بها مُعْيِي المَطِيِّ ورازِمُـــهْ (٧٤).

وما تلك الحرمة التي تحل على المكان وتلك القدسية التي تصير له بمجـرد أن يحل به الممدوح؟

وإذا حَلَّ ساعَـــــــةً بمكانٍ فأذاهُ على الزَّمـــــانِ حَرامُ (٧٥).

إنه يصبح – وقد حل فيه – كالتميمة في وجه الزمان، فيقيه صروف هذا الزمان ببركته، وهو مما قد خص به. وببركة الممدوح كذلك – وهو أشبه كما ذكرت بالولي – تسقى الدور التي يسكنها ويسقى الناس:

وأَجْدَرُ الدُّوْرِ أنْ تُسقَى بساكِنِها دارٌ غَدا النَّاسُ يَسْتَسقُونَ أَهْلِيها (٧٦).

وتصير الأسنة – وقد عطلها عن عملها – كأسوق الجراد، ويدور السيف – فلا يقطع – ويلتوي التواء الهاء أو الواو أو الزاي:

بكَ أَضْحَـــــى شَبَا الأَسِنَّةِ عِنْدِي كَشَبَا أَسْوُقِ الجَـــــرادِ النَّوازِي

وانْثَنَى عَنِّـــــي الرُّدَيْنِيُّ حَتَّـــى دارَ دَوْرَ الحُرُوفِ فـــــي هَوَّازِ (٧٧).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبه يلوذ من الزمان، ويطرد باسمه – حين يردد هذا الاسم – الشيطان، ويراه – وهو مما قد خص الأولياء به في المعتقد الصوفي – الناس – إن شاء – في كل مكان؛ يقول المُتَنَبّي في مدحه للطَّرَسُوسِيّ:

يا مَنْ نَلُوذُ مِـــــن الزَّمانِ بِظِلِّهِ حقًّا ونَطْـــــرُدُ بـاسْمِهِ إبْلِيسـا

صَدَقَ المُخْبِرُ عنكَ دُونَكَ وَصْفُـــهُ مَـــنْ بِالعِراقِ يَراكَ في طَرَسُوسا (٧٨).

بل إن ذكره لكفيل باستحضاره كما يستحضر الصوفيون الخِضْرَ – في زعمهم – كلما ذكروه:

إذا مـــا ذَكَرْنا جُودَهُ كانَ حاضِرًا نَأى أو دَنا يَسْعَى على قَدَمِ الخِضْرِ (٧٩).

وباسمه يتحصن الإنسان – إن نطق به – من كل شر، ويسلم – وهو مصطحب له – حتى لو سار بين أنياب الأفاعي والأسود:

ومَنْ يَصْحَبِ اسْمَ ابنِ العَمِيدِ مُحَمَّدٍ يَسِرْ بَيْنَ أَنْيابِ الأَساوِدِ والأُسْدِ (٨٠).

ولا يخشى – حين يخف السير إليه – من النيران، فالنار لا تحرق – إن صادفت – من يقصده:

ولـــــــو سِرْنا إليهِ في طَرِيقٍ من النِّيرانِ لـــــم نَخَفِ احْتِراقا (٨١).

وهو مهيب تقشعر الأرض منه، وترتج – على عظمتها – له الجبال:

بمَنْ تَقْشَعِرُّ الأَرْضُ خَوْفًـــا إذا مَشَى عليها وتَرْتَجُّ الجِبالُ الشَّواهِـــقُ (٨٢).

ويخاف منه ويرهبه حتى الجماد:

وأَرْهَبَ حَتَّى لـــــــو تَأَمَّلَ دِرْعَهُ جَرَتْ جَزَعًا من غيرِ نارٍ ولا فَحْمِ (٨٣).

ويحيد الرمح – مهما بلغ طوله – عنه فلا يعمل فيه:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يَحِيدُ الرُّمْـــــحُ عنكَ وفيهِ قَصْدٌ ويَقْصُرُ أنْ يَنالَ وفيه طُـــولُ (٨٤).

ولا يؤثر في قدمه – حين يدوس حافيًا – ما يؤثر في أقدام الناعلين:

ومِثْلُ الـــــــذي دُسْتَهُ حافِيًا يُؤَثِّرُ في قَـــــــدَمِ النَّاعِلِ (٨٥).

وله خطرات تفضح – وكأنه يعلم السر كما يعلم العلن – الناس، فلا يخفى شيء عليه:

عَلِيمٌ بأسْرارِ الدِّيانـــــاتِ واللُّغَى لـــه خَطَراتٌ تَفْضَحُ النَّاسَ والكُتْبا (٨٦).

وظن يكشف عما في ضمائر الآخرين، فتنكشف النفوس وتعرى الأرواح لديه:

ووَكَّـــلَ الظَّنَّ بالأَسْرارِ فانْكَشَفَتْ لـــه ضَمائِرُ أَهْلِ السَّهْلِ والجَبَلِ (٨٧).

إنه – ولا غرابة – يدري ما بك قبل أن تظهره له، فيجيبك قبـــل أن تـــسأل أو تتساءل بين يديه:

يَدْرِي مـــــا بكَ قَبْلَ تُظْهِرهُ له مـــن ذِهْنِهِ ويُجِيبُ قَبْلَ تُسائِلُ (٨٨).

وهو ما يعتقده – أو ينبغي أن يعتقده – (المريد) في شـــيخه، ويميـــزه – فيمـــا زعموا – عن غيره، كما تميزه تلك الهيبة – التي يخلعها الـــمُتَنَبِّي في بعض الأحيان على ممدوحيه – فتخضع الأبصار له، وتعجز – حين ترمقه – عن النظر إليه:

وقـــــد تَمَنَّوا غَداةَ الدَّرْبِ في لَجَبٍ أنْ يُبْصِرُوكَ فلمَّا أَبْصَرُوكَ عَمُوا (٨٩).

فإن أمكنها أن ترمقه – ولو عن بعد – فقد استطاعت – فـــي ظنـــه – مـــا لا يستطاع:

إن استَجْرَأَتْ تَرْمُقـــــــهُ بَعِيدًا فأنتَ اسْطَعْتَ شَيْئًا مـــا استُطِيعا (٩٠).

إنه مثل عين الشمس؛ تنكسر الأبصار دونه حين تحاول أن تراه:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كأنَّ شُعـــــاعَ عَيْنِ الشَّمْسِ فيهِ ففي أبْصارِنـــــا عنه انْكسارُ (٩١).

أو هو كما وصف النبي ربه – حين سئل صلى الله عليه وسلم عنه بعد المعراج هل رآه؟ – فقال: "نُورٌ أنَّى أراه"؟!

وعَجِبْتُ حَتَّى مـــا عَجِبْتُ من الظُّبَى ورأيتُ حَتَّى مـــا رَأَيْتُ من السُّنا (٩٢).

وهذا النور الذي يذكره يتجاوز – في رأيي – التشبيه، ليصبح – في مواضع أخرى عديدة بالديوان – صدى واضحًا لما يعتقده بعض غلاة المتصوفة في (الأقطاب) و(الأبدال)؛ فإذا كان الصوفي لا يستطيع في حضرة شيخه أن يرفع العين حياء، ولا يملك إلا أن يسارقه النظر، كما يصنع المُتَنَبِّي مع سَيْفِ الدَّوْلَةِ وفيه يقول:

أُسارِقُـــــكَ اللَّحْظَ مُسْتَحْيِيًا وأَزْجُـرُ في الخَيْلِ مُهْرِي سِرارا (٩٣).

فإن الحال مع هؤلاء لا يقف – أزعم – عند دائرة الحياء – أو أدب السلوك بالمفهوم الصوفي – وإنما يمتد ليعكس – من بعض الوجوه – رؤية خاصة ترتفع بالمخلوق أحيانًا – فتضعه – وقد اشتط بها الغلو – في مرتبة الخالق عز وجل، وتخلع عليه من صفاته ما لا يجوز إلا له؛ فالله نور، ونوره – كما وصفه – { كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ.. } (٩٤). وهؤلاء كذلك – إن تجاوزت المظهر – نور من نور الله – تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا – أو – إن شئت تحفظًا كما يتحفظ المُتَنَبِّي – كنور الله، أو كالنور على الإطلاق. واسمعه حتى يتأكد لك هذا الزعم وهو يقول:

شَمْسٌ إذا الشَّمْسُ لاقَتْهُ على فَـــرَسٍ تَرَدَّدَ النُّورُ فيها مـــن تَرَدُّدِهِ (٩٥).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فلا يكتفي بتشبيهه بالشمس حتى يجعل الشمس تستمد منه النور، وكذلك يصنع حين يقول:

تَكْتَسِبُ الشَّمْسُ منكَ النُّورَ طالِعَةً كما تَكَسَّبَ منها نُورَهُ القَمَرُ (٩٦).

أو يقول:

الصَّوْمُ والفِطْـــرُ والأَعْيادُ والعُصُرُ مُنِيرَةٌ بكَ حَتَّى الشَّمْسُ والقَمَـرُ (٩٧).

فهو مصدر للنور، يقتبس منه القمران نورهما، وينيران – إن شئت الدقة – به. وهذا النور – كما يقول في بيت آخر – آية ودليل – أو (كرامة) بلغتهم – على صدق منزلته ومكانته عند الله، تدفع له بالتسليم وتوجب له حق الطاعة والانقياد:

في وَجْهِهِ مـــــــن نُورِ خالِقِهِ قُدِّرَ هـــــي الآياتُ والرُّسُلُ (٩٨).

وإذا كان الناس – كل الناس – هم الظلام – حيث خلقوا مـن طـين – فـإن ممدوحه – وقد ميزه الله عليهم أجمعين – نور تنحسر عنه وتعشو الأبصار:

أَرَى النَّـــــاسَ الظَّلامَ وأنتَ نُورٌ وإنِّي فِيهِـــــمُ لِإِلَيْكَ عاشِ (٩٩).

حتى لكأنه خلق آخر لا ينتمي – بسبب هذا النور – إلى الجنس البشري:

ما ذا البَهاءُ ولا ذا النُّورُ مـــــن بَشَرٍ ولا السَّماحُ الذي فِيهِ سَماحُ يَدِ (١٠٠).

أو لكأنه يصعد به في سماء الفخر، ويخترق – وهو لفظ يجري كثيـرًا علـى ألسنتهم – الآفاق في معراجه نحو الوصول:

لِنُورِهِ في سَماءِ الفَخْـــــرِ مُخْتَرَقٌ لو صاعَدَ الفِكْرَ فيهِ الدَّهْرَ ما نَزَلا (١٠١).

وحين يتم لهذا النور تمامه ينطفئ – من باب الإجلال لـه – كل نور – يعرفه الإنسان – عداه، فيخفت ضوء الشمس حتى ينتهي، ويعجز القمر – أو البدر – عـن التمام:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فليسَ لشَمْسٍ مُـــــذْ أنَرْتَ إنارَةٌ وليسَ لبَدْرٍ مـــا تَمَمْتَ تَمامُ (١٠٢).

وتظل الشمس – وقد أصابها الدهش – مشدودة – كالمجذوب– إليه:

فلا زالَتِ الشَّمْسُ التي فـــي سَمائِهِ مُطالِعَـةَ الشَّمْسِ التي في لِثامِهِ (١٠٣).

حتى يتجلى فيزيح لها عن وجهه – وهو ما تبغي – الحجاب.

د – شطح صوفي:

شأن مجاذيب المتصوفة – ومجانبنهم العقلاء – يشطح الـمُتَنَبِّي فـي شـعره شطحًا يقربه – حين نأخذ العبارة على ظاهرها ونلتزم المعنى الحرفي للألفاظ – من دائرة (اللاعقل)، ويقذف به في هوة (الوهم) و (المحال). وقد رصد عليه النقـاد – منذ القدم – شطحه وإغراقه – وغلوه وإفراطه – دون أن يربط أحد بين هذا الشطط والإغراق وبين الشطح الصوفي؛ لأنهم لم يلتفتوا – أو بالأحرى كثير منهم – إلـى علاقته بالتصوف وما تركت تلك العلاقة في شعره من آثار، ولأن مجانين الصوفية – ومنهم سِيْبَوَيْه الذي التقاه في مصر – لم ينل شعرهم – وأفترض أن الـمُتَنَبِّي كان يقرأ بعض هذا الشعر ويفتن به – ما هو جدير به – في رأيي – من اهتمام هـؤلاء النقاد، فلم يلتفتوا إليه ولا إلى أصحابه إلا في النذر اليسير.

ويدخل في هذا الجانب كل ما يخرج فيه الـمُتَنَبِّي بالإنسان – وهو يغالي فـي الثناء على الممدوحين أو يفخر فيه بنفسه – عن بشريته، ويضعه – أو يكاد – فـي مصاف الآلهة وأشباهها، فيصفه بما لا ينبغي أن يوصف به – إن حكمت العقـل أو الشرع أو حكمتهما معًا – غير الخالق عز وجل؛ كعلم الغيب – وقد مر بنا – والخلق والرزق والإحياء والإماتة ونحوها، فممدوحه – بالمعنى الواسع كذلك للمدح – يملك

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أنفس الثقلين – الإنس والجان – يتصرف فيها أنى شاء كما يشاء فلا يستطيع أحد – مهما كان – الخروج عن ملكه ومشيئته:

وتَملِكُ أنْفُسَ الثَّقَلَيْنِ طُـــــــرًّا فكيفَ تَحُـــوزُ أنْفُسَها كِلابُ (١٠٤).

فالأرض – أو البلاد – ومن عليها – لا المال فحسب – له، هـو وحـده دون سواه:

تَسُرُّ بالمالِ بَعْضَ المـــــــالِ تَمْلِكُهُ إنَّ البِلادَ وإنَّ العالَمِيـــنَ لَكا (١٠٥).

والناس عبيد له:

وإنَّهُـــــــمُ عَبِيدُكَ حَيْثُ كانُوا إذ تَدْعُـــــــو لحادِثَةٍ أجابُوا (١٠٦).

وهو رب لهم:

خَلائِقُ تهـــــــــدي إلى ربِّها وآيةُ مَجْدٍ أراهـــــــا العَبِيدا (١٠٧).

يميتهم – قبل الممات – الخوف منه، ويحييهم – قبل المعـاد – منـه عليهم وتفضله بعدم القتل:

وماتُوا قَبْلَ مَوْتِهِـــــــــمُ فلَمَّا مَنَنْتَ أعَدْتَهـــــم قَبْلَ المَعادِ (١٠٨).

بل هو يحيي – إن شاء الإحياء – بغض النظر عن المن:

له رَحْمَةٌ تُحْيِي العِظـــــامَ وغَضْبَةٌ بِها فَضْلَةٌ للجُرْمِ عن صاحِبِ الجُرْمِ (١٠٩).

ويحول – حين يغيث – دون الموت:

سَبَقَتْ إليهـــــــــم مَناياهُمُ ومَنْفَعَةُ الغَـــوْثِ قَبْلَ العَطَبْ (١١٠).

ويقبض الأرواح قبضًا:

إلى القابِضِ الأرْواحِ والضَّيْغَمِ الَّذي تُحَدِّثُ عن وَقَفاتِهِ الخَيْلُ والرَّجْلُ (١١١).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويملك الأجل – أجل العباد – في راحتيه:

ومَنْ مَناياهـــــــــــم براحَتِه يأمُرُهـــــا فيهم وينْهاها (١١٢).

فالموت طوع يده؛ يصدر – كالخادم – عن أمره:

ويَستَكْبِرُونَ الدَّهْـــــرَ والدَّهرُ دُونَهُ ويَستَعْظِمُونَ المَوْتَ والمَوْتُ خادِمُهْ (١١٣).

ولا يتحرك إلا حين يشير إليه:

تَغْدُو المَنايا فلا تَنْفَكُّ واقِفَـــــةً حَتَّى يَقُولَ لها عُـــودِي فَتَنْدَفِعُ (١١٤).

وهو يخلق فعله ويبتدعه على غير مثال:

يَمْشِي الكِرامُ على آثارِ غَيْرِهِـــمُ وأنتَ تَخْلُقُ مـــا تَأْتِي وتَبْتَدِعُ (١١٥).

وتريك غرائب خلقه – في مجده – كيف يخلق الله النفوس والأرواح:

يُرِيكَ مـــن خَلْقِـــهِ غَرائِبَهُ في مَجْدِهِ كَيْفَ يُخْلَـــقُ النَّسَمُ (١١٦).

ويرزق:

كَذَبَ ابنُ فاعِلَـــــةٍ يَقُولُ بِجَهْلِهِ مـــاتَ الكِرامُ وأنتَ حَيٌّ تَرْزُقُ (١١٧).

على رواية من قرأها – وهي الأدق – بفتح التاء، وهذا الرزق – كما جاء في موضع آخر – مقصور – كالموت – عليه:

فلا مَوْتَ إلا مـــــن سِنانِكَ يُتَّقَى ولا رِزْقَ إلا من يَمِينِكَ يُقْسَمُ (١١٨).

ونواله – وهو من الكثرة بمكان – قضاء لا يرد:

كـــــأنَّ نَوالَكَ بَعْضُ القَضاءِ فمـــا نُعْطَ منه نَجِدْهُ جُدُودا (١١٩).

ويعز ويذل:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مَذَلُ الأعزاء المُعـــــــزُ وإنْ يَبْنِ به يُتْمُهُـــــمْ فالمُوتَمُ الجابرُ اليُتَم (١٢٠).

ويتصرف في الورى – إحياء وإماتة وتكريمًا وإذلالاً – تصرف المليك:

يا مَليكَ الوَرَى المُفَـــــرِّقُ مَحْيًا ومَماتًا فيهـــــمُ وعِزًّا وذُلاّ (١٢١).

ويرفع حتى يبلغ بمن رفعه عنان السماء:

فلَمَّـــــــا جِئْتُهُ أعلَى مَحَلِّي وأجْلَسَنِي علـــى السَّبْعِ الشِّدادِ (١٢٢).

ويهب ما لا يهبه إنسان:

ما زلتَ تَتْبَعُ مـــــا تُولِي يَدًا بِيَدٍ حَتَّى ظَنَنْتُ حَيَاتِي مـــن أيادِيكا (١٢٣).

ولقد بلغ – فيما لم يبلغه بشر من قبل – حد الكمال:

وإنَّ بها وإنَّ بـــــــــهِ لنَقْصًا وأنتَ لهـــا النِّهايَةُ في الكَمالِ (١٢٤).

وعلا حتى جاوز كل علو:

سَبَقْتَ السَّابِقِينَ فمـــــا تُجارَى وجاوَزْتَ العُلُوَّ فمـــــا تُعالَى (١٢٥).

وتولى حمل حلمه، ولولا ذلك لانهدمت الأرض وما أطاقت لهذا الحلم حملاً:

ولَـــــــوْلا تَوَلَّى نَفْسُهُ حَمْلَ حِلْمِهِ عن الأَرْضِ لانْهَدَّتْ وناءَ بها الحِمْلُ (١٢٦).

فما بالك بغير الحلم؟! إنه – وله الحمد – فوق كل ثناء:

يكـــــونُ أَحَـقُّ إثناءٍ عليـــهِ على الدُّنْيا وأَهْلِيهـــــــــا مُحالا

ويَبْقَى ضِعْفُ مـــــــا قَدْ قِيلَ فيهِ إذا لـــــم يَتْرُكْ أَحَـدٌ مَقالا (١٢٧).

ولو حاولت إثناء عليه بذكر ما له من فضل لكنت كمن يحاول إحصاء حبـات الرمال:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مَتَى أحْصَيتُ فَضْلَكَ فـــــي كَلامٍ فقدْ أحْصَيْتُ حَبَّاتِ الرِّمـــالِ (١٢٨).

وهو – كالمعبود – مناط خوف ورجاء:

فإنْ هابُوا بجُرْمِهـــــــمُ عَلِيًّا فقدْ يَرْجُو عَلِيًّا مَـــنْ يَهابُ (١٢٩).

موضعه – حيث علا – في السماء، لا يرفعه شيء – فلا شـيء فوقـه – ولا يضع منه:

مَنْ كانَ فوقَ مَحَلِّ الشَّمْسِ مَوْضِعُهُ فليسَ يَرْفَعُـــهُ شَيْءٌ ولا يَضَعُ (١٣٠).

أما خاطره فلو حل في مقعد لمشى، أو في أخرس لصار – مـع تلـك القـدرة المطلقة والإرادة التي لا راد لها – خطيبًا من الخطباء:

لـــــو حَلَّ خاطِرُهُ في مُقْعَدٍ لمَشَى أو جاهِلٍ لصَحا أو أخْرَسٍ خَطَبا (١٣١).

وكأننا قـد عدنا معه ثانية إلى عصور المعجزات، أو كأننا بإزاء شخوص كتلك الشخوص التي كنا نرى في الآداب اليونانية القديمة، تكـاد تنفـصل – مـع تلـك الشطحات – عن الواقع، وتطوف بنا في سماء الوهم، بما يخلعه عليها من الـصفات الخارقـة والأفعال؛ فهذا يصنع خاطره في ذوي العاهات ما يصنع، وذاك تزعـزع سطوته – لو حك منكبها – السماء:

مُتَكَشِّفًا لِعُداتِهِ عـــــــن سَطْوَةٍ لـــو حَكَّ مَنْكِبُها السَّماءَ لزَعْزَعا (١٣٢)

وذاك يشرق ويغرب حتى لا يكون هناك مشرق للشرق أو مغرب للغرب:

فشَرَّقَ حَتَّى ليسَ للشَّرْقِ مَشْرِقٌ وغَرَّبَ حَتَّى ليسَ للغَرْبِ مَغْرِبُ (١٣٣

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مع أن الأرض كروية – وهو ما لم يكن يعرفه المُتَنَبِّي آنذاك – ولكل شرق شرق آخر ولكل غرب غرب. وذاك يدهش مما يصنعه الملك الموكل بكتابة أعماله وإحصائها له أو عليه:

فلَقَدْ دَهِشْتُ لِما فَعَلْتَ ودُونَـــهُ ما يُدْهِشُ المَلَكَ الحَفِيظَ الكاتِبا (١٣٤).

وذاك يضيق عنه – وعن جوده – اللوح:

لو كنتَ بَحْرًا لم يكنْ لكَ ساحِلٌ أو كنتَ غَيْثًا ضاقَ عنكَ اللُّوحُ (١٣٥).

وذاك يمكنه أن يتناول – لو أراد – النجوم، ولو حاربها لترك بعضها ينوح على بعض:

وقـــد زَعَمُوا أنَّ النُّجُومَ خَوالِدٌ ولـــــو حارَبَتْهُ ناحَ فيها الثَّواكِلُ

وما كانَ أدْناها لـــــه لو أرادَها وأَلْطَفَها لـــو أنَّـه المُتَنـاوِلُ (١٣٦).

وذاك يجمد حين يراه القطار، وتبهت – إن نظر إليها – الأنواء:

جَمَدَ القِطارُ ولـــو رَأَتْهُ كما نَرَى بُهِتَتْ فلـــم تَتَبَجَّسِ الأَنْواءُ (١٣٧).

وذاك يتفرد – تفرد المعبود – في وحدانيته، وغيره أهل للإشراك:

النَّاسُ كالعابِدِينَ آلِهَـــــــةً وعَبْدُهُ كالمُوَحِّـــــدِ اللهَ (١٣٨).

وتلك نار يجتوي بها قلب المحب، هي أشد – في تجديفه وتطاوله على الغيبيات – من نار الجحيم:

ففِي فُـــــؤادِ المُحِبِّ نارُ جَوًى أَحَرُّ نارِ الجَحِيـــــمِ أَبْرَدُها (١٣٩).

وغريب أمر هذا الإنسان الذي لم يجر الخلف على وحدانيته، وقد جرى الخلف – فكان الكفر والإشراك – على وحدانية الله:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جَـــرَى الخُلْفُ إلا فيكَ أنَّكَ واحِدٌ وأنَّكَ لَيثٌ والمُلُـــوكُ ذِئابُ (١٤٠).

وذلك العلوي الذي يجعله – فيما ند عنه كذلك من شطحات – أبرز آية من آيات المصطفى صلى الله عليه وسلم، فقلب – كما ترى – الأوضاع:

وأبْهَرُ آياتِ التَّهامـــــــــيِّ أنَّهُ أبُوكَ وأجْدَى ما لكم من مَناقِبِ (١٤١).

ويبلغ الشطح به مبلغه حين يقول في بَدْرِ بنِ عَمَّارٍ محاولاً – فيما يتبدى لي – أن ينال رضاه:

تَتَقاصَرُ الأفْهامُ عـــــــن إدْراكِهِ مِثْلُ الذي الأفْـــلاكُ فيهِ والدُّنا (١٤٢).

والذي فيه الأفلاك هو علم الله عز وجل؛ " قال أبُو الحَسَنِ عَفِيفُ الدِّينِ عَلِيُّ بنُ عَدْلان: الرواية الصحيحة مثلُ (بالرفع)، ويكون على تقدير هو مثل؛ يعني أن الأفهام تتقاصر عن هذا الممدوح في معرفة حقيقته، فهو مثل علم الله " (١٤٣). وعلـق ابـنُ جنِّي على هذا البيت قائلاً: " لقد أفرط جدًّا؛ لأن الذي فيه الدنيا والأفلاك هو علم الله تعالى وتقدس" (١٤٤). ولو تكلم بلغة القوم لقال – كما أقول – لقد شطح كما يـشطح (المجذوب) حين يذهله الوجد عن عقله، وتجرأ بمثل هذا الشطح على مقام الألوهية، كما تجرأ على جبريل عليه السلام في مدحه كذلك لبَدْرِ بنِ عَمَّارٍ؛ حين قال:

لَعَظُمْتَ حَتَّى لـــــو تكونُ أمانَةً مـــــا كانَ مُؤْتَمَنًا بها جِبْرِينُ (١٤٥).

وفيه يقول الواحِدِيُّ: " وهذا إفراط وتجاوز حد، يدل على رقة ديـن وسـخافة عقل، بل يدل على زندقة وكفر " (١٤٦). وأيًّا ما كان الأمر فقد بلغ به الإفراط مبلغه، وهيأ مثل هذا الشطح المجال للحديث – لدى القدامى – عن فساد عقيدتـه، وهـو لا يعدو – في رأيي – العزف على وتر حساس من أوتار الصوفية، كان يحاول بـه – في بعض الأحيان – إرضاء ممدوحيه وفيهم من كان يطرب – ولا يهش لمادحـه – إلا إن أسمعه نغمات كتلك، وهو – كما ذكرت – يجيد العزف على جميع الأوتـار، فراح يعزف – غير مبال بما سوف يقال – منتشيًا عليه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الرمز والخيال المركب

يجنح الـمُتَنَبِّي – جنوح المتصوفة- نحو الرمز بأشكاله المختلفة – الأسلوبي منه والموضوعي- ويتدرج الخيال لديه من البساطة حتى يصل إلى أقصى درجات التعقيد. وقد رأيت معي – في جانب العشق- أنه كان يشير – في بعض الأحيان- إلى ذات الله وهو يتغزل – على طريقتهم- بالمرأة، وأن المرأة – كما ذكرت- لا اسم ولا جسم لها يتحدد من خلالهما هويتها – كما يتبدى الأمر لدى غيره من شعراء الغزل المعروفين- وإنما هي – في الأغلب الأعم- روح يهيم بها – ويشكو ما يلاقيه من عذاب الحب وآلامه مستعذبًا كالصوفي لهذا النوع من العذاب ولتلك الآلام – وخيال- أشبه بالوهم – يضفى عليه ما يضفيه من (التقديس)، ويرتفع به – ما استطاع- عن (الآنية)؛ فلا مكان ولا زمان، ولا ملامح واضحة تربط هذا المعشوق – إلا في النادر القليل- ببيئة معينة أو ظرف تاريخي أو ثقافي محدد.

فهذه المرأة التي يتحدث عنها – في مقدمات قصائده على نحو خاص – ما هي- في رأيي- إلا رموز وإشارات يستخدمها – كالصوفيين- في التعبير- بطريقة غير مباشرة – عن الذات الإلهية، وما ذلك الغزل – أو ما يتبدى للوهلة الأولى غزلاً كسائر الغزل- إلا نوع – استمده لاشك من الصوفيين- من أنواع العشق الإلهي، ثم راح يعممه – ويعمم لغته- في موضوعات أخرى لا علاقة لها – من جهة الظاهر- بالغزل، كالمدح والرثاء؛ فالممدوح – كسَيْفِ الدَّوْلَةِ- أو المرثى- كجدته- والمحبوب سواء؛ كلاهما يوصف – فيما يوصف به- بالبهاء والجمال والتفرد والكمال، وكلاهما يستولى – كما يستولى المعبود- على لبه وقلبه، ويملك عليه مشاعره وأحاسيسه فلا يرى – أو لا يكاد- معه- كالعاشق المفتون- سواه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإلا فإن المُتَنَبِّي – كما وصف نفسه في مواضع كثيرة من شعره وكما وصفه الآخرون – لم يكن- وتلك حقيقة لا تساورني فيها الشكوك – ممن يستهويه كغيره- وهو المشغول بمجده وبتحقيق مطامحه من منبت شعره حتى أطراف القدمين – عشق النساء، ولم يُعرف عنه علاقة واحدة- إلا فيما حاول الشيخ محمود شاكر رحمه الله جاهدًا أن يثبته ولم يفلح فيه من أنه كان يحب أخت سَيْفِ الدَّوْلَةِ ويكتم عنه وعنها ذلك الحب – تربطه- فيها عدا الزوج وقد أغفلها التاريخ تمامًا أو أم الأبناء – بالمرأة- ارتباط العاشق بالمعشوق- فيقترن الغزل لديه بها- كما يقترن لدى غيره- على نحو من الأنحاء، بل كان على النقيض من ذلك يعلن نفوره منها- المرأة فيما عدا ذوى رحمه من النساء- ويصفها بما لا يخلو – في مجمله- من التعالي والازدراء؛ ويلخص ذلك خير تلخيص قوله وهو لا يزال في مقتبل الشباب:

وللخَوْدِ منّى ساعَةٌ ثم بيننا ... فَلاةٌ إلى غيرِ اللقاءِ تُجابُ
وما العِشْقُ إلا غِرَّةٌ وطَماعَةٌ ... يُعَرِّضُ قَلْبٌ نفسَه فتُصابُ
وغيرُ فُؤادِي للغَوانِي رَمِيَّةٌ ... وغيرُ بَنانِي للرِّماحِ رِكابُ[1].

وقوله – في مراحل متأخرة-:

يَرُدُّ يَدًا عن ثَوْبِها وهو قادِرٌ ... ويَعْصِي الهَوَى في طَيْفِها وهو راقِدُ[2].

وفيه ينفي عن نفسه العجز – الذي قد يتبادر إلى الأذهان- ويحاول أن يثبت به أن انصرافه عنهن هو انصراف إرادة أو قدرة، وأنه لا يتحكم في اليقظة – كما يزعم- فحسب، وإنما يتحكم كذلك في الغفوة والمنام، فأنى يكون لهن سلطان عليه؟!

وفي القصيدة نفسها – التي منها هذا البيت- نراه يقول متغزلاً:

مَرَرْتُ على دارِ الحَبِيبِ فحَمْحَمَتْ ... جَوادِي وهل تَشْجُو الجِيادَ المَعاهِدُ؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفيه – كما ترى– نغمة صوفية – استمدها الصوفيون بدورهم من شعراء الغزل العذري– حيث المرور على دار الحبيب، وحمحمة الجواد وهو يرى تلك الدار، وحنينه – أو بالأحرى حنين صاحبه– لما كان يربطه بها – في سالف الزمن– من ذكريات، وذلك الشجى الذي يثيره المكان في نفسه واستعذابه له وتغنيه به. إن الحبيب ههنا ليس امرأة – أزعم– وليست الدار بالدار، وإنما هما رمزان يوظفهما في إطار الغزل للتعبير عن وجده، أو يقلد فيهما – إن شئت– الصوفيين في تعبيرهم عن حبهم – حين يغمرهم ذلك الحب حتى يفيض– لله.

وإذا كان الأمر كذلك فهل من حرج إن أقسم المُتَنَبِّي – وهو يعرف أن القسم لا يكون إلا بالله– بالمحبوب، ووصفه – كما توصف المرأة به– بالجمال ونحوه؟!

فَوَمَنْ أُحِبُّ لأَعْصِيَنَّكَ في الهَوَى قَسَمًا بِـــهِ وبِحُسْنِهِ وبَهائِهِ(٣).

وهل من حرج كذلك إن صافح المحبوب – المرموز إليه أساسًا– باليد، أو نظر – حتى يشخص الطرف– إليه، أو ذكر الحشى– وهو كل ما احتوى الصدر عليه– وكيف يذوب الدمع المسفوح من العين، والوجد الذي يفوق وجد الحمام، وشجر الأراك، والبكاء الذي يبلغ حد النواح؟! وكلها رموز يستخدمها الصوفيون في التعبير عن الوجد:

فيَدٌ مُسَلِّمَةٌ وطَرْفٌ شاخِصٌ وحَشًى يَذُوبُ ومَدْمَعٌ مَسْفُوحُ

يَجِدُ الحَمامُ ولو كوَجْدِي لانْبَرَى شَجَرُ الأَراكِ مع الحَمامِ يَنُوحُ(٤).

وماذا عليه إن تغنى – في آخر قصيدة له– وهو يودع عَضُدَ الدَّوْلَةِ– كما تغنت رابِعَةُ العَدَوِيَّةُ – على هذا النحو:

أَرُوحُ وقد خَتَمْتَ على فُؤادِي بِحُبِّكَ أنْ يَحِلَّ بِـــهِ سِواكا(٥).

أو قال – كما قالت– فيه:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولو أنّي استطعتُ خَفَضْتُ طَرْفِي فلـــم أُبْصِرْ بهِ حتَّى أراكا[٦].

أو أشار إلى التجلي – في أخرى- فذكر البرقع – وهو الحجاب- وحض على ستر الجمال؟

خَفِ اللهَ واستُرْ ذا الجَمالَ ببُرْقُعٍ فإنْ لُحْتَ ذابتْ في الخُدُورِ العَواتِقُ[٧].

أو ذكر العير – وهي تحمل محبوبه- والحداة- وهم يسوقون تلك العيـر – وأثـر الظعن – أو الرحيل – في نفسه، وبلوغه – فيما يتخيل- بسببه حد الموت؟

يا حـــادِيَيْ عِيْرِهـــا وأَحْسَبَنِي أُوْجَـدُ مَيْتًا قُبَيْلَ أَفْقِدُها[٨].

وتناهي سكون الحسن في الحركات – وهو بلغتهم أشبه- والرؤية- رمزًا للوصـل- وما قد تحدثه في النفس والأعضاء؟

تَناهَى سُكُونُ الحُسْنِ في حَرَكاتِها فليسَ لراءٍ وَجْهِها لم يَمُتْ عُذْرُ[٩].

وعلى هذا الوتر الغزلي – الذي يشير كما ذكرت إلى الحب الإلهي ويـستخدم رموزه وإشاراته- يعزف الـمُتَنَبِّي كثيرًا في شعره، ليعبـر بالمحـسوس – أعنـي المرأة وما يخلعه عليها من الصفات- عن المواجد- وما يتصل بها من المعنويات – التي تعجز اللغة العادية عن التعبير عنها؛ فـ (الوصول)- وهو الغاية من الـسلوك لدى الصوفي – وما يعقبه من (التوحد) – على ما يعتقدون- و (الفناء) في ذات الله أو المحبوب- وكلها أمور لا تخضع للحس- يعبر عنها أو يرمز- إن شئت- إليهـا بالزيارة واللقاء والنظرة- زيارة المرأة ولقياها ورؤيتها- والأنس بها- أنس الحبيب بمحبوبه- حين يجتمعان في (الحضرة) أو – بلغة الحس- الدار:

يَمَّمْتُ شاسِعَ دارِهـــمْ عـن نِيَّـةٍ إنَّ المحِـبَّ علـى البِعـادِ يَـزُورُ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقَنِعْـتُ باللُّقْيـا وأوَّلِ نَظْـرَةٍ إنَّ القَلِيلَ مـن الحَبِيـبِ كَثِيـرُ(١٠).

ويشير إلى الوصل كذلك – والأثر الذي يتركه في نفسه وما يعقبه من السرور أو اللذة– بالترشف وما يتبادله العشاق من القبلات:

بِي حَـرٌّ شَوْقٍ إلى تَرَشُّـفِها يَنْفَصِلُ الـصَّبْرُ حـينَ يَتَّـصِلُ(١١).

ويجعل الذوق – ذوق الشفاه– دليلاً– كما يصنع شعراء الوجـد– علـى هـذا الوصال:

فذُقْتُ ماءَ حَيـاةٍ مـن مُقَبَّلِهـا لو صابَ تُرْبًا لأَحْيا سالِفَ الأُمَمِ(١٢).

ويتخذ – كما يتخذون– من الخمر وما يتعلق بها– كالشراب والسكر أو الخمار والانتشاء وما أشبه– رموزًا يعبر بها– كما يعبرون– عن الوجديات؛ فنحن نعلم منذ البدء موقفه من الخمور – وهو موقف المسلم صحيح الإسلام الذي لا يبيحهـا فيمـا يباح– ونعلم أنه يربأ بنفسه عنها ويكلف تلك النفس مشاق الاعتذار حين يدعوه أحد الأمراء – ممن كان يمدحهم– إليها(١٣)، ونعلم كذلك أنه كان يرى فيها صورة مـن صور الإزراء بالنفس والعقل لا تليق بشخص مثله وهب نفسه – منذ نعومة أظفاره– للمجد، وسعى طول حياته – بشتى الطرق– لتحقيقه؛ أليس هو القائل في شأنها:

وَجَـدْتُ الـمُدامَـةَ غَلاّبَـةً تُهَـيِّجُ للقَلْـبِ أشْواقَـهُ
تُسِيءُ مـن المَـرْءِ تَأْدِيبَـهُ ولكـنْ تُحَـسِّنُ أخْلاقَـهُ
وأنْفَـسُ مـا للفَتَـى لُبُّـهُ وذُو العَقْـلِ يَكْـرَهُ إنْفَاقَـهُ(١٤).

فهي تغلب – كما يقول– المرء على نفسه، وتهيج له الأشواق فتجعله أسير رغباته، وتسيء – وإن حسنت الأخلاق فحفزت على الجود بغير حـدود وزينتـه للبخيـل ونحوه– التأديب، وتضيع العقل وهو أنفس ما لدى الإنسان لأنه مناط تكريم الله لـه،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولذا فإن ذا اللب – ويعني به نفسه– يحرص على ألا يضيع هذا العقل، فينأى ما استطاع عن بريق غوايتها.

وحين دعاه ابن طُغْج إلى تناولها معه وأقسم عليه – بحقه– أن يشربها شربها مضطرًا نزولاً على أمر الأمير، وعبر عن ذلك قائلاً:

سَقَاني الخَمْرَ قَوْلُكَ لي بحَقِّي ووُدٌ لم تَشُبْهُ لي بمَذْقِ
يَمِينًا لو حَلَفْتَ وأنتَ ناءٍ على قَتْلِي بها لضَرَبْتُ عُنُقِي(١٥).

فلولا هذا اليمين – الذي يوجب عليه ما هو أشد وهو قتل النفس– ولولا هذا الود الخالص الذي كان يجمعه به ما أقدم على تناولها، ولا حدثته النفس بها. وعلى الرغم من هذا كله فإننا نراه – في مواضع أخرى– يهيم– شأن العشاق– بها، وليس في الأمر تناقض – على ما أرى– إذا فهمنا أنه يعني بها– حين يظهر هذا الهيام– ما يعنيه الصوفي حين يشير إلى الوصل ولذته بها؛ فهي – في تلك المواقف– رمز – كالمرأة– يوظفه للتعبير عن حالات نفسه، وبخاصة فيما يتصل بحبه – أو عشقه– لله.

فهي – إن كانت على هذا النحو الذي يعني– ليست بحرام:

كلُّ شَيْءٍ من الدِّماءِ حَرامٌ شُرْبُهُ ما خَلا دَمَ العُنْقُودِ(١٦).

وما دام الأمر كذلك فماذا عليه إن طلبها – كما يطلبون – وحرص عليها – حرصهم – وفداها – كما يفدون – بالطارف والتليد؟!

فاسْقِنِيها فِدًى لعَيْنَيْكَ نَفْسِي من غَزالٍ وطارِفِي وتَلِيدِي(١٧).

فهي دواء يتداوى به منها – كما كان يصنع أبو نُواس – وكأس تملأ الأنفس الظمأى بأنواع السرور:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وداوِ خُمـــــــارِي بـــشُرْبِي لهـــا فإني سَكرتُ بـــشُرْبِ الـــسُّرُورِ[١٨].

وهنا يقترن ذكرها – كما ترى– بالبهجة والتفاؤل والأمل، لا بالألم أو الضياع أو اليأس أو النفور. وكيف يشعر بالألم من ألم – كمثله– بمحبوبـــه، وســـقاه ذلـــك المحبوب بيديه حتى غيبه– كالفانين وهم أهل العشق الصوفي– عن كل مـــا حولـــه وأنساه– كما ينسيهم في لحظة الوصـــل– الوجـــود؟! يقـــول فـــي مطلـــع مدحتـــه للطَّرْسُوسِيِّ:

هَـــــذِى بَرَزْتِ لنا فهِجْتِ رَسِيسا ثم انْثَنَيْتِ ومـــــا شَـــفَيْتِ نَسِيـــسا
وجَعَلْتِ حَظِّي منكِ حَظِّي في الكَـــرَى وتَرَكْتِنِي لِلفَرْقَـــــــــدَيْنِ جَلِيـــسا
وقَطَعْتِ ذَيَّاكَ الخُمـــــــارَ بـــسَكْرَةٍ وأَدَرْتِ من خَمْرِ الفِراقِ كُئُوســا[١٩].

فهي المحبوبة – الذات التي هيمته– وهو الجدل الأزلي– في مجال العشق– بين الأمل– في الوصال ولذته– وبين اليأس، وهو الخمار– خمار الوصل الذي يعـــيش مأخوذًا به كالحلم– والصحو– بسبب الفراق– أو اليقظة، والعودة – برغمـــه– إلـــى وجوده الأرضي.

وتمتزج الخمر لديه – في إطار استخدامه الرمزي لها– بالمرأة– التي لا تتعدى هي الأخرى إطار الرمز– فيأخذ ذلك الرمز– كما أخذ في الأبيات السابقة– شكلاً هو أقرب إلى التركيب والتعقيد منه إلى البساطة وقرب المأخذ أو السهولة في الوصـــول بها إلى درجة– لا يختلف عليها اثنان– من درجات الفهم. وهو ما عناه – على مـــا أظن– العَكْبَرِيُّ حين قال: " وأودع كلامه رمزًا خَفِيًّا "[٢٠]. فهذا الرمز يخفي– كمـــا يخفي لدى الصوفي– عن كثير ممن يتلقون شعره، ولا تتعدى نظرتهم إليه السطح أو تتجاوزه إلى الأعماق فترى فيه ما حاول – كالرمزيين– إخفاءه، وتلذ بتلك الرحلة – ذات الطابع الاستكشافي – من الظاهر– الذي يبدو للعيان– إلى الباطن غير المرئي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وانظر – إن شئت– إلى تلك المرأة– حين يراوده الأمل وتراوغه بدلالها عنه – التي يُسكر بعضها بعضًا– لا الآخرين فحسب– فينتشي القد ثملاً– وهي تتفتل أو تستدير – من خمر الطرف:

كأنَّما قَدُّهـــــا إذا انْفَتَلَتْ سَكْرانُ من خَمْرِ طَرْفِها ثَمِلُ(٢١).

وانظر إلى ذلك السلاف من الكلام وهو يخبئه – في شعره– عن العوام ويجعله لخاصته، وإلى الجريال– يشبه به ما أظهره– يعاقر الندماء– وهم عامة المتلقين– عليه، فيجد كل نديم فيه– من العوام أو الخواص– ما يعنيه، ويبقى للباطن حظ فيه كظاهره بقاء الإشارة والرمز:

ولقد خَفيتُ من الكَلامِ سُلافَهُ وسَقَيْتُ مَنْ نادَمْتُ من جِرْيالِهِ(٢٢).

وانظر إلى تلك الأضداد وقد اجتمعت في خمره، لتأخذك الحيرة – كما أخذته– وتتوق– كما تاق– إليها، غير مبال بما قد تجلبه عليك – مع اللذة– من الآلام؛ فهي مسك وسقم وشمس وسهاد:

سُهادٌ لأجْفـانٍ وشَمْسٌ لناظِرٍ وسُقْـمٌ لأَبْدانٍ ومِسْكٌ لناشِقِ(٢٣).

يهيم الأنف والبصر – بل قل تهيم بها كل الحواس– لكنها لا تبقى للبدن سوى الأسقام– وأظنه يعني ما يبقيه العشق الذي يرمز إليه بها من النحول والضمور والهزال– ولا تبقى للجفن– وقد جُنَّتْ النفس بها– غير السهاد.

وكما عمد الرمزيون – ومنهم شعراء الصوفية– إلى تبادل الحواس– أو إسناد عمل حاسة إلى أخرى– وأحالوا– في هذا الصدد – إلى ما أسموه بـ " وحدة الأثر الكلي "، فإننا لا نعدم في شعر المُتَنَبِّي مثل هذا التبادل– ومثل تلك الإحالة– فالملحوظ يصير مسموعًا لديه:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تُجاوِبُهُ فِعْلاً ومـــا تَعْرِفُ الوَحَى ويُسْمِعُها لَحْظًا ومـــا يَتَكَلَّمُ[٢٤].

والريح – وهو مشموم– يذاق:

أَيُنْكِرُ رِيحَ اللَّيْثِ حتى يَذُوقَـــهُ وقد عَرَفَتْ رِيْحَ اللُّيُوثِ البَهائمُ[٢٥]؟

والأذن ترى:

في جَحْفَلٍ سَتَرَ العُيُونَ غُبارُهُ فكَأَنَّمـــا يُبْصِرْنَ بالآذانِ[٢٦].

والنفس تحس على الجملة بما يشم وما يرى وما يذاق:

فَتَاةٌ تَساوَى عِقْدُهـــا وكَلامُها ومَبْسِمُها الدُّرِّيُّ في الحُسْنِ والنَّظْمِ

ونَكْهَـــتُها والمَنْدَلِـــــيُّ وقَرْقَفٌ مُعَتَّقَةٌ صَهْباءُ في الرِّيحِ والطَّعْمِ[٢٧].

قال الواحِدِيُّ: " يقول قد استوت منها هذه الأشياء في طيب الرائحـــة والـــذوق، وإنما يستوي في الذوق شيئان؛ النكهة والخمر، لأن العود مر المذاق، ولكنـــه جمـــع بينها في الريح، والنكهة أيضًا لا طعم لها، لأنها رائحة الفم، واستقام الكلام إلى ذكر الريح، ثم احتاج إلى القافية وإقامة الوزن، فذكر الطعم فأفسد، لاختلاف ما ذكره في الطعم "[٢٨]. وقد أجهد نفسه – كما ترى– وأوقع الـــمُتَنَبِّي فيما يقع فيه المبتدئون من الشعراء – أعني ما قد تضطره القافية وإقامة الوزن إليه من الخطأ أو الحشو– ولـــم يلتفت إلى ما ذكرت من وحدة الأثر الكلي؛ فليس المعنىّ هو الآلة التي يحس بهـــا– كالأذن أو الأنف أو العين– بقدر ما يعني بالأثر نفسه الذي يستولى – أيـــًّا كـــان مصدره– عليه.

ويكثر في شعره – كما يكثر لدى الـــصوفيين– اســـتخدام الكنايـــة والتوريـــة والتعريض– وهي كالرمز تنأى عن المباشرة وتجنح نحو التلميح – فالبيض – وهن النساء – يكنى بها – وقد أظهر ما أظهر من كلف بهن – عن السيوف – كما صرح

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هو نفسه به – أو المرهفات، والسمر – من النساء كذلك- يكنى بها- كما كنى بالبيض- عن الرماح:

مُحِبٌّ كنى بالبِيضِ عن مُرْهَفاتِهِ وبالحُسْنِ في أجْسامِهِنَّ عن الصَّقْلِ

وبالسُّمْرِ عن سُمْرِ القَنا غيرَ أنَّني جَناها أحِبّائي وأطْرافُها رُسُلي(٢٩).

وهو بهذا التصريح يحاول أن يضع أيدينا على تفسير واضح لما استخدمه من الكناية في البيتين؛ فقد دل به على أن البيض والسمر – اللائي يتغنى بهن- ما هن إلا أدوات قتاله، وأن استخدامه لهن – في ذلك الموضع- هو من قبيل الرمز، لكنه في مواضع أخرى يترك كناياته بلا تفسير، ويظل الأسلوب – حسب طبيعة الكناية ذاتها- متأرجحًا بين الحقيقة- وهي فرع عليها لدى بعض البلاغيين- والمجاز- وهي فرع عليها لدى آخرين- ويظل الباب مفتوحًا- وهو ما كان يهدف على ما أظن إليه- أمام تعدد التفسير واختلاف الرؤى في التأويل، ويضفي هذا الاستخدام – وهو الأمثل لها- على شعره نوعًا من الغموض المحبب والضبابية التي لا تصل إلى حد التعتيم؛ فالهزيمة – وقد حلت بالجيش- يعبر عنها بسقوط العمامة- وفي السقوط نفسه ما فيه من الإيماء – والخمار:

وجاءُوا الصَّحْصَحانَ بلا سُرُوجٍ وقد سَقَطَ العِمامَةُ والخِمارُ(٣٠).

ويعبر عنها كذلك – في القصيدة نفسها- بتلك المشية الغريبة التي تتسابق – وهم يلوذون بالفرار- فيها الأعضاء، وتتعثر – وقد أخذهم الخوف من كل مكان وسيطر الفزع عليهم- الرءوس بالأقدام:

مَضَوْا مُتَسابِقِي الأعْضاءِ فيهِ لأرْءُوسِهِمْ بأرْجُلِهِمْ عِثارُ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وذيوع ذكر الممدوح – وما قد يدل عليه من حب الناس له وعلو مكانته فيهم– يشير إليه بدورانه– مصحوبًا بالطرب وما يقترن به من الانتشاء – مع الغناء– في مجالس الأنس – والشراب:

وأصْبَحَ ذِكْرُهُ فـــي كلِّ أَرْضٍ تُدارُ على الغِناءِ بـــهِ العُقارُ(٣١).

والحنق والغيظ – وقد حلا بسبب الحسد في نفوس الشانئين– يشار إليهما بقضم الحديد وقطع النار:

تَقْضَمُ الجَمْرَ والحَدِيدَ الأَعادِي دُونَهُ قَضْمَ سُكَّرِ الأَهْوازِ(٣٢).

والجود والمهابة – وقد اجتمعا في شخص ممدوحه – يلحظان– كما لحظهما– ويلمسان في سيل المواهب– وهي صورة جزئية أخرى تتكامل معها سائر الأجزاء في تشكيل صورة كلية مركبة– والنفوس أو الأرواح:

ولَحظْتُ أُنْمُلَـــهُ فسالَ مَواهِبًا ولَمَسْتُ مُنْصُلَهُ فسالَ نُفُوسا(٣٣).

وشدة التحمل والجلد في مواجهة الخطوب والأحداث يعبر عنه على هذا النحو:

ومِثْلُ الـــــذي دُسْتَهُ حافِيًا يُؤَثِّرُ في قَـــــدَمِ النَّاعِلِ(٣٤).

وفيه يشير – كما ترى– إلى المعنى بطريقة غير مباشرة – معتمدًا ههنا على شيء من الموازنة بين الأضداد – ويقدمه– كما في سائر كناياته– مصحوبًا– حسب تعبير القدامى– بالدليل، وتثير تلك الكنايات– مع ما تضفيه من الغموض المستحب– لذة الاستكناه– بتعبير المحدثين– في نفوس المتلقين.

أما التورية – وفيها يشغلك بالمعنى القريب عن المقصود أو المعنى البعيد – ففي شعره نماذج منها احتذى فيها – كما احتذى في الكناية والرمز– الصوفيين؛ فـ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"الثعلب"- وهو الحيوان المعروف- و "الوجار"- بيته- ليسا هما المقصودين على الحقيقة في قوله:

يُغـــادِرُ كلَّ مُلْتَفِتٍ إليه ولَبَّتُهُ لثَعْلَبِـــــهِ وِجارُ[٣٥].

وإنما يريد سنان الرمح وموضعه في جسد المطعون. و "الأستاذ" - وقد خلعه على كافُور- لا يريد ما قد تعارف الناس عليه من الإشادة به إلا ظاهرًا يتقي به مقصوده البعيد في قوله:

تَرَعْرَعَ المَلِكُ الأُستاذُ مُكْتَمِلاً قبلَ اكْتِمالٍ أديبًا قَبْلَ تَأْدِيبِ[٣٦].

فالأستاذ " كلمة ليست بعربية، وإنما تقال لصاحب صناعة؛ كالفقيه والمقرئ والمعلم... وأهل الشام والجزيرة يسمون الخصي أستاذًا "[٣٧]. وقد كان كافُورُ خصيًّا فرماه – على التورية- به.

و "صور" العين – وهو الميل- يشغلك إلى حين عنه بـــ "صور" المدينة الساحلية- التي استحضرها إلى الأذهان على الفور ذكر "اللاذقية" قبلها - وهي بلدة أهل المرثى؛ يقول:

وحَفِيفُ أَجْنِحَةِ المَلائكِ حَوْلَـهُ وعُيُونُ أَهْـــلِ اللاَّذِقِيَّةِ صُوْرُ[٣٨].

يعني مائلة إلى نعشه، لا تلك المدينة التي يعرفها أهل الشام معرفتهم باللاذقية ونحوها. وقوله:

إذا كانَ ما تَنْوِيهِ فِعْلاً مُضارِعًا مَضَى قبلَ أنْ تُلْقَى عليه الجَوازِمُ

وقد تصنع فيه – كما ترى- للنحو، وبناه – كما يقول العَكْبَرِيُّ[٣٩] – على التورية؛ فالمقصود هو الإرادة التي لا يحول شيء بينها وبين النفاذ، لا ذلك المضارع الذي يتحول – بدون لم وأشباهه- إلى المضي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ونراه يُعَرِّضُ في مواقف مختلفة ومواضع عدة – هي في الحق أكثر من أن تحصى– في شعره، نبه الشراح عليها؛ كقوله:

أَوْلَى اللِّئامِ كُوَيْفِيرٍ بمَعْذِرَةٍ ... في كلِّ لُؤْمٍ وبَعْضُ العُذْرِ تَفْنِيدُ

وذاكَ أنَّ الفُحُولَ البِيضَ عاجِزَةٌ ... عن الجَمِيلِ فكَيْفَ الخِصْيَةُ السُّودُ[٤٠]؟

وفيه يعرض – حين يذكر تلك الفحول البيض– بسَيْفِ الدَّوْلَةِ. وقوله:

وكيفَ يَبْلُغُ مَوْتانا التي دُفِنَتْ ... وقد يُقَصِّرُ عن أَحْيائها الغُيُبِ[٤١]؟

وفيه يعرض كذلك به – على ما ذهب العَكْبَرِيُّ إليه– فالسلام– المذكور في بيت سابق– لا يبلغ الموتى التي دفنت، وكيف يبلغها وهو يعجز عن الوصول إلى من جفاه– ويريد به سَيْفَ الدَّوْلَةِ– من الأحياء؟! وكأنه إذ جفاه صار – كما يقول– في حكم الغائب. وقوله:

أَبا المِسْكِ هلْ في الكَأْسِ فَضْلٌ أَنالُهُ ... فإنِّي أُغَنَّى مُنْذُ حِينٍ وتَشْرَبُ[٤٢]؟

فيه تعريض باستبطاء عطاء كافُور له؛ حين وعده بأن يخلع عليه إمارة، ثم أخلفه ولم يعطه ما طمح إليه. وقوله:

إنْ شاءَ أنْ يَلْهُو بلِحْيَةِ أَحْمَقٍ ... أراهُ غُبارِي ثُمَّ قالَ لَهُ الْحَقِ[٤٣].

يعرض فيه بالخالِدِيَّيْنِ– أبي بَكْرٍ وأخيه عُثْمانَ– وربما كان التعريض– كما يقول العَكْبَرِيُّ– بكل من يحيط بسَيْفِ الدَّوْلَةِ من الشعراء لا الخالِدِيَّيْنِ فحسب؛ فقد كان المُتَنَبِّي يتعالى على غيره من الشعراء، وهؤلاء كانوا ينافسونه ويحاولون – ما وسعهم– الحيلولة بينه وبين الأمير. وقوله:

رُبَّما شَهِدَ الطَّعامَ مَعِي ... مَنْ لا يُساوِي الخُبْزَ الذي أَكَلَهْ[٤٤].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يعرض فيه برجل أوصله إلى أَبِي العَشائرِ يعرف بالمَسْعُودِيِّ " صار نديمًا له وصار يتناوله عند أَبِي العَشائرِ ويقع فيه، فهذا كله تعريض به "[٤٥]. وقوله:

بمِصْرَ مُلُوكٌ لهم مالُهُ ولكنَّهم ما لهم هَمَّهُ[٤٦].

وهو مما قاله في فاتِكٍ الأَسَدِيِّ، وفيه تعريض - كما أفاد العَكْبَرِيُّ بكافُور الإخْشِيدِيِّ، وكان كثير التعريض به. وفي ديوانه مواضع كثيرة - كما ذكرت- للتعريض[٤٧]، لا يتسع المقام لذكرها، وفيما قدمت ما يكفي للاستدلال، لا على استخدامه له فحسب وإنما - أزعم- على ولعه به. ولعل إقامته في مصر، وتشيعه - إن صح- وارتطامه بكثير ممن حوله في كل مكان تطؤه قدماه، وتآذر الحساد عليه والحاقدين الذين يحاولون النيل منه، وشعوره الدائم بالقلق وعدم الأمان، كان وراء هذا الولع بالتعريض. لكن الأثر الصوفي لا ينبغي كذلك - في رأيي- أن يغيب عن الأذهان، وهو يمثل أحد خصائصهم في الشعر، ويتسق وطريقتهم التي تميل- كما أشرت- إلى التلميح وتؤثره- في كثير من الأحيان- على التصريح.

ونراه يُلغِز ويُحاجِي ويُعَمِّى ويغرب ويعقد في التصوير؛ فمما ألغز - على طريقة أهل زمانه - فيه:

نَحِيفُ الشَّوَى يَغْدُو على أُمِّ رَأسِهِ ويَحْفَى فيَقْوَى عَدْوُهُ حينَ يَقْطَعُ

يَمُجُّ ظَلامًا في نَهارٍ لِسانُهُ ويُفْهِمُ عَمَّنْ قالَ ما ليسَ يُسْمَعُ[٤٨].

وهو يريد القلم بطبيعة الحال - وإن لم يصرح به- فيقدم من الصفات - أو الإشارات- ما قد يعين- ذوي النباهة- في الوصول إليه، لكنه يلبسها حين يدفع بالأذهان إلى جهة أخرى تنأى- ولو إلى حين- بنا عن معرفة ما يرمي إليه، فهذا الموصوف نحيف- وهو يلاحظ هيئته- يجري على رأسه- فلا يستخدم إلا على هذا النحو- ويقوى ويشتد كلما ازاد جريه- لا كالأحياء التي يدركها ما يدركها من التعب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والإعياء- ويدفع بمداده الأسود الذي يشبه الظلام على ورقة بيضاء هي أشبه ما تكون بالنهار، فيفهم عنه دون صوتٍ ما يراد، لكنه – في الوقت نفسه- يصح- كالأفعى أو الثعبان- وله رأس ولسان، وتلك أشياء قد تلفتنا- إن وقفنا عند ظاهرها أو سرنا خلف ما يوحى به هذا الظاهر- برغمنا عنه.

وانظر إلى هذا الجواب – ولا يشغلنك تلك التسمية الظاهرة- ولا ما يتعلق بها من صفات كالإرسال والعنوان والفض والنشر والختام- الذي يُشَبِّهُ- ملغزًا- الجيش به:

ورُبَّ جَوابٍ عـــن كتابٍ بَعَثْتَهُ ... وعُنْوانُهُ للنّاظِـــــرِينَ قَتَامُ

تَضِيقُ بِهِ البَيْداءُ مـــن قَبْلِ نَشْرِهِ ... ومـــــا فُضَّ بالبَيْضاءِ عنه خِتَامُ

حُرُوفُ هِجـــاءِ النّاسِ فيه ثَلاثَةٌ ... جَوادٌ ورُمْـحٌ ذابِلٌ وحُسامُ[٤٩].

وقد وضع في البيت الأخير أيدي المتلقين عليه حين فسر حروفه بالجواد والرمح والحسام؛ كي لا يضيع – وهو في سياق المدح- المقصد منه. وانظر وفكر معي فيما يريد بقوله:

ناعِمَةُ الجِسْمِ لا عِظـــامَ لها ... لها بَناتٌ ومـــــا لها رَحِمُ[٥٠].

وإن لم يحالفك التوفيق في معرفة ما يريد على وجه الدقة، وسار بك التخمين في مسارات عدة، فاسمع إذن ما يَليه:

يُبْقَرُ عنهنَّ بَطْنُهـــــا أبدًا ... ومـــــا تَشَكَّى ولا يَسِيلُ دَمُ.

وإن كنت لا تزال بعيدًا عن إدراك ما يرمي إليه – وهي البحيرة- فربما أمكنك الجزم به حين تسمعه يقول بعدهما:

تَغَنَّتِ الطَّيْرُ فـــي جَوانِبِهـــــا ... وجادَتِ الرَّوْضَ حولَهـــا الدِّيَمُ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يقول شارحه: " لما وصف البحيرة ألغز فيها؛ فقال لا عظام لها، وهي ناعمة الجسم، وبناتها السمك؛ أي أن البحيرة ماء، والسمك بناتها، فهي أمهن ولا رحم لها. وهذا عجيب "[٥١]. وقد صرح – كما ترى – بقصد المُتَنَبِّي للإلغاز، وتلك طريقة عهدت لديه في مواضع أخرى من شعره، يؤيدها – مع ما ذكرت- قوله- فيما مدح سَيْفَ الدَّوْلَةِ به-:

وأُمُّ عَتِيقٍ خالُـــــــهُ دُونَ عَمِّـــهِ رَأى خَلْقَها مَـــنْ أعْجَبَتْـــهُ فعانَهـا
إذا سايَرَتْـــــــهُ بايَنَتْـــهُ وباتَهـــا وشانَتْهُ في عَيْنِ البَصِيرِ وزانَهـا[٥٢].

وهو يعني الفرس كما نص الشراح عليه، لكنك لو قرأت هذين البيتين بعيدًا عن السياق الذي جاء فيه عز عليك معرفة المراد، إلا إذا خمنت – كما هي الحال في كل الألغاز – به.

ويعلق العَكْبَرِيُّ على قوله:

لِسانِي وعَيْنِي والفُـــؤادُ وهِمَّتِي أَوُدُّ اللواتِي ذا اسْمُها منكَ والشَّطْرُ

بتلك الكلمة الدالة على ما نحن بصدده: " والغرض في هذا البيت التعمية فقط، وإلا فما الفائدة في هذا البيت مع ما فيه من الاضطراب "[٥٣]؟ وقد نقل اضطراب الشارحين فيه واختلافهم حول المقصود به. ومما حاجى فيه ونَصَّ الشراح عليه قوله:

لا ناقَتِي تَقْبَلُ الرَّدِيـــفَ ولا بالشَّوْطِ يَوْمَ الرِّهـانِ أُجْهِدُها[٥٤].

قال ابن سِيدَة: " حاجي بهذا البيت، وإنما عنى نعله... "[٥٥]. وقوله:

رَأَيْنا بِبَدْرٍ وآبائِـــــهِ لِبَدْرٍ وَلُودًا وبَدْرًا ولَيِدا[٥٦].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فقد علق عليه ابن سِيدَة كذلك قائلاً: " معنى هذا البيت التعجب من خرق العادة، وهو من ظريف المحاجاة؛ فبدر الأول اسم الممدوح، والآخران عنى بهما البدر المعروف "(٥٧).

وقد نص المُتَنَبِّي نفسه على تلك المحاجاة في شعره – وقصده من ثم إليها – بقوله:

يُحاجَى بهِ: ما ناطِقٌ وهْوَ ساكِتٌ يُرَى ساكِتًا والسَّيْفُ فيهِ ناطِقُ(٥٨)؟

فـ " الصمت والنطق ضدان، والضدان لا يجتمعان في محل واحد في وقت واحد، لكن هذا الملك ينطق السيفُ عنه وهو ساكت، فالأحجية من البيت في الشطر الأول وتحليلها في الثاني، ونطق السيف عنه عمله في عصاته وعداته؛ إذ السيف جماد والجماد لا نطق له "(٥٩).

وتنحو الصورة لديه – كما تنحو لدى الصوفيين– نحو التعقيد، فنراه يباعد – في الاستعارة– بين أطراف التشبيه– وهو ما عده النقاد خروجًا عما أسموه بـ "عمود الشعر" وقد كثر بشكل ملحوظ عند أبي تَمَّام ونظرائه من الشعراء المحدثين– ويجنح بها– كما جنحوا– نحو الغموض و (التضبيب)؛ يقول الشيخ البَدِيعِيُّ – فيما أخذوه عليه–: ".. ومنها إبعاد الاستعارة والخروج بها عن حدها؛ كقوله:

مَسَرَّةٌ في قُلُوبِ الطِّيْبِ مَفْرِقُها وحَسْرَةٌ في قُلُوبِ البِيضِ واليَلَبِ.

وقوله:

تَجَمَّعَتْ فـي فُـــؤادِهِ هِمَمٌ مِلءُ فُـــــؤادِ الزَّمانِ إحْداها.

وقوله:

لـم تَحْكِ نائلَكَ السَّحابُ وإنَّما حُمَّتْ بـــــهِ فصَبِيبُها الرُّحَضاءُ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقوله:

إلاّ يَشِبْ فلقدْ شابَتْ لــه كَبِدٌ شَيْبًا إذا خُضِبَتْ سَلْــوتُ نُضارا.

وقوله:

وقدْ ذُقْتُ حَلْواءَ البَنِينَ على الصِّبا فلا تَحْسَبَنِّي قلتُ ما قلتُ عن جَهْلِ.

فجعل للطيب والبيض واليلب قلوبًا، وللسحاب حُمَّى، وللزمان فؤادًا، وللكبد شيبًا. وهذه استعارات لم تجر على شبه قريب ولا بعيد، وإنما تصح الاستعارة وتحسن على وجه من الوجوه المناسبة، وطرق من الشبه والمقاربة "[٦٠]. ثم نقل عن الصّاحِبِ بن عَبّادٍ قوله: " وما زلنا نعجب من قول أبي تَمّام وهو لا تسقني ماء الملام، فخف علينا بحلواء البنين "[٦١].

وليست المسألة – في رأيي- مجرد تقليد لأبي تَمّام – وغيره من المحدثين- بقدر ما هي وجهة ترسخت في شعره- مع وجود دوافع عدة ومؤثرات حضارية مختلفة منها فيما أزعم التأثير الصوفي- وتجلت – حين أبانت عن نفسها- في مظاهر متعددة؛ منها- فيما نحن بصدده- التعقيد الفني.

وليست الظنون التي تظلع[٦٢]، ولا الشمس المنيرة السوداء- وجه كافُور الإخْشِيدِيِّ- يفضح بها- حين يزيح عنه اللثام- شمس السماء[٦٣]، ولا السرور الذي يُشرب[٦٤]، ولا الموت الذي يموت والذعر الذي يذعر[٦٥]، والمعرفة التي ينام فوقها مستشعرًا – كما يستشعر العارفون بالله- الاطمئنان[٦٦]، ليست بأقل – في رأيي- من تلك الحلواء العجيبة التي لفتت نظر ابن عَبّاد، وأثارت – كما رأيت- حفيظته عليه، فهو يغرب – إغراب الصوفي- حين يفرط في الخيال فيجمع – في استعارته- بين الأطراف المتباعدة التي يصعب الجمع بينها – إن لم يستحل في بعض الأحيان-

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويجعل بعضها يحل في بعض ويفني فيه فناء تنعدم- مع بعدها- فيه المسافات أو تكاد.

ويدخل تحت هذا التعقيد كذلك – وتلك الرغبة في الإغراب- استخدامه صورًا نادرة- لم يكثر استخدامها لدى السابقين كما كثرت على هذا النحو الملحوظ لديه- في التشبيه؛ كـ "تشبيه المحسوس بالمعنوي"، لا المعنوي- كما كانوا يصنعون- بالمحسوس؛ كقوله في وصف ناقته:

مـــــن بَنَاتِ الجَدِيلِ تَمشِي بِنا فِي البِيْدِ مَشْيَ الأَيَامِ فِي الآجالِ[١٧].

وهو يشبه قول المولى تبارك وتعالى – في تلك الشجرة التي تنبت في أصل الجحيم- [طَلْعُها كأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّياطِين]. وإذا كان التشبيه في الآية الكريمة يدفع بالخيال إلى أقصى مداه – لأن الشيطان ليس له صورة محددة في نفوس المتلقين وإنما هو يرتبط بمعان بعضها القبح والبشاعة والرهبة – فإنه- في بيت المُتَنَبِّي- يدفع بنا نحو الغموض المستحب حين يستحضر في الذاكرة إشكالية الزمن وما يستتبعها من جدلية البقاء والفناء – لديه.

ومنها " التشبيه المقلوب " – كأن يشبه شيئًا بشيء وهو يريد (العكس) أو الضد – كقوله:

كفِرِنْدِي فِرِنْدُ سَيْفِي الجُـــرازِ لَذَّةُ العَيْنِ عُـــدَّةٌ للبِرازِ[١٨].

وهو يريد " فرندي كفرند سيفي " فقلب. وهو يشبه قول جبران في " المساء ":

والبَحْرُ خَفَّاقُ الجَوانِبِ ضائقٌ كَمَدًا كصَدْرِي ساعَةَ الإمساءِ.

وقوله:

نَظَمَ الأَمِيرُ لهـــا قِلادَةَ لُؤْلُؤٍ كفَعالِهِ وكَلامِـــهِ فِي المَشْهَدِ[١٩].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهو يريد تشبيه الفعال والكلام بتلك القلادة لا العكس. وقوله:

كأنَّ بَرْقًا في مُتُونِ غَمامَـــةٍ هِنْدِيُّهُ في كَفِّـــــهِ مَسْلُولا(٧٠).

يقول العَكْبَرِيُّ: " يقول كأن برقًا سيفه، وهو من المعكوس؛ لأن السيف يشبه بالبرق، وهذا شبه البرق بالسيف "(٧١).

ومنها كذلك " التشبيه الإضافي " – حين يشبه شيئًا بشيء ثم يحذف الأداة ويضيف المشبه به إلى المشبه – وهو كالاستعارة لولا ذكر الطرفين، وقد يكون لهذا النوع من التشبيه خاصة صلة – لديه– بمسألة الحلول؛ فالخدود يشبهها بالورد، ثم يضيفها – حتى يصيرا شيئًا واحدًا فيحل فيها وتحل فيه – إليه:

كم قَتِيلٍ كمـــا قُتِلْتَ شَهِيدٍ ببيَاضِ الطُّلَى ووَرْدِ الخُـدُودِ(٧٢).

والغي يشبه بالثوب – وكذلك الرشاد– ثم يقدم هذا الثوب عليه، ويضيفه – بعد حذف أداة التشبيه– إليه:

وقد مَزَّقْتَ ثَوْبَ الغَيِّ عنهم وقد أَلْبَسْتَهم ثَوْبَ الرَّشادِ(٧٣).

وكهذا الثوب – وتلك الورود– "رماح المعالي"(٧٤)، و "بحر الموت"(٧٥)، و "سماء الفخر"(٧٦)، و "زهر الشكر"(٧٧)، و "شمس الفعل"(٧٨)، و "عرف الجود"(٧٩)، و "حلل الثناء"(٨٠).

و "المركب"؛ وفيه يشبه حالة ناشئة من اجتماع أكثر من مشبه – لا يعمد في الأصل إلى الفصل بينها– بحالة أخرى يجتمع فيها كذلك أكثر من مشبه به؛ كقوله:

طارَ الوُشاةُ على صَفاءِ وِدادِهِمْ وكَذا الذُّبابُ على الطَّعامِ يَطِيرُ(٨١).

فليس المقصود فيه تشبيه الوشاة – وإن لم يمتنع هذا في الفهم– بالذباب، وصفاء وداد الممدوحين بالطعام، كل واحد منهما على حدة، وإنما أراد – فعقد التشبيه–

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اغترار هؤلاء السعاة بسعة عفو الممدوحين واطمئنان قلوبهم به وانجذابهم – دونما إرادة منهم أو تريث أو تفكير في المآل– إليه، كما يقع الـذباب – منجـذبًا– على الطعام، ويطوف – مأخوذًا به– حوله. وهو يشبه قول بَشّار بنِ بُرْدٍ الذي ظل يحتال – فيما يقال– حتى أخرجه:

كأنَّ مُثارَ النَّقْعِ فـوقَ رُءُوسِنا وأسْيافَنا لَيْلٌ تَهـاوَى كَوَاكِبُه.

وقوله – وقد شبه احتشاد النوق واصطفافها في العراء بنقش دقيق منمـنم أبـدع صاحبه تطريزه فوق الملاحف والثياب–:

صَفَّها في العَـراءِ فكانتْ فوقَ مِثْلِ المُـلاءِ مِثْلِ الطِّرازِ(٨٢).

وليس المقصود فيه كذلك تشبيه النوق منفصلة بالنمنمة أو التطريز، ولا التـل – الذي اصطفت النوق فوقه– بالملاء، وإنما اجتماع الطرفين معًا – النوق فوق التل– في حالة معينة– يغلب عليها فيما يرى الكثرة والازدحام– بصورة معينة تراها العين فتبهر بها وتلحظ ما فيها من الدقة والانتظام. وكذلك النقاب فوق الوجـه– وقـد رق حتى كاد يفضح ما تحته من المحاسن والجمال– والسحاب الخفيف ينفذ منه برغمـه ضوء البدر – حين يمر فوقه – في قوله:

كأنَّ نِقابَهـا غَيْمٌ رَقِيقٌ يُضِيءُ بمَنْعِـهِ البَدْرَ الطُّلُوعا(٨٣).

والسجن – وقد احتواه فلم ينقص من قدره– احتواء الصدف للدر في قوله:

لـو كانَ سُكْنايَ فيكَ مَنْقَصَةً لم يكن الدُّرُّ ساكِـنَ الصَّدَفِ(٨٤).

وهو يسوقه ههنا في إطار الاستدلال، ليخاطب به العقل ويستثيره كمـا يـستثير الوجدان. وقس على ذلك قوله:

كأنَّ الجُفُـونَ على مُقْلَتِي ثِيابٌ شُقِقْنَ علـى ثاكِلِ(٨٥).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقوله – لو تَنَكَّرَ فضل ممدوحه عليه فلم يوله ما هو حق لـه مـن الثنـاء أو الشكر –:

فكنتُ مَنبِتَ رَوْضِ الحَزْنِ باكَرَهُ غَيْثٌ بغيرِ سباخِ الأرْضِ هَطّالُ[٨٦].

فروض الحزن لا يظهر أثر المطر – مهما اشتد– فيه، لخلوه من السباخ، وكذلك الشخص اللئيم – وينفي عن نفسه أن يكون مثل هذا الشخص– ينطمر الإنعام– بسبب اللؤم– عليه. وقد فَصَّلَ في المشبه به؛ ليُعلم حال المشبه ووجه الشبه من خلال هـذا التفصيل.

وهذا النوع من التشبيه – وقد اكتفيت بذكر نماذج منـه– كثيـر الـدوران فـي شعره[٨٧]، وهو يعكس – كالمقلوب والإضافي– ما وصلت إليه الحضارة نفسها– في القرن الرابع الهجري– من التركيب والتعقيد. ويلحق به "التـشبيه المفـرق"، وهـو كالمركب في تعدد الأطراف لولا إمكانية الفصل بين أجزائه؛ كقول امْـرِئِ القَـيْسِ الشهير– وهو رائده ورائد غيره من الشعراء فيه–:

كأنَّ قُلُـــوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا ويابِسًا لَدَى وَكْرِها العُنّابُ والحَشَفُ البالي

ومنه قوله:

رأيتُ الحُمَيّا في الزُّجـــاجِ بكَفِّهِ فشَبَّهْتُها بالشَّمْسِ في البَدْرِ في البَحْرِ[٨٨]

فالخمر – بغض النظر عن كونها موضوعة في كأس وهذه الكأس تحملهـا يـد الممدوح– كالشمس، والكأس – أو الزجاج– كالبدر، والكف كالبحر. وهـي صـور جزئية لا يتشكل منها صورة واحدة تتلاحم أجزاؤها تلاحم الأعضاء، بل لا يمكن أن نتخيل – وهو لم يقصد إلى هذا المزج قدر قصده تقديم صور مفردة لا تترابط فيهـا الأطراف – شمسًا في بدر في بحر.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أما "البليغ" ففيه يتحد الطرفان ويصير المشبه والمشبه به شيئًا واحـدًا، ويحـل أحدهما في الآخر، حلول الذات – على ما يعتقد غلاة الصوفية- في الذات، وتمتزج – حين تفنى الذات في الذات- الصفات؛ فلا غرابة – وهو العازف كما ذكرت على أوتارهم والمتأثر شكلاً ومضمونًا بهم- إن أكثر من هذا النوع، بل بلغ فيه – كما لم يبلغ في غيره- حد الافتتان(٨٩)؛ فالموت عسل يلذ عند الذل طعمه، ويستحليه إن أريد له الهوان:

وعِنْدَها لَذَّ طَعْـمَ المَـوْتِ شـارِبُهُ إنَّ المَنِيَّـةَ عندَ الذُّلِّ قِنْدِيـدُ(٩٠).

وسواد العينين مداد:

هلْ لعُذْرِي عندَ الهُمـامِ أبي الفَضْـ ـلِ قَبُولٌ سَوادُ عَيْنِي مِـدادُهْ(٩١)؟

وممدوحه شمس يتألق منها- فتستمد منها الشمس- النور:

شَمْسٌ إذا الشَّمْسُ لاقَتْهُ على فَـرَسٍ تَرَدَّدَ النُّورُ فيها مـن تَرَدُّدِهِ(٩٢).

وقمر:

أعـاذَكَ اللهُ مـن سِـهامِهِمُ ومُخْطِئٌ مَـنْ رَمِيُّهُ القَمَـرُ(٩٣).

وشمائله في زمنه زهر في روض:

ما الـدَّهْرُ عِنْـدَكَ إلا رَوْضَـةٌ أُنُـفٌ يا مَـنْ شَمائلُهُ في دَهْرِهِ زَهَرُ(٩٤).

وأنامله بحور ومكايده سعير:

غاضَـتْ أنامِلُـهُ وهُـنَّ بُحُـورُ وخَبَتْ مَكايدُهُ وهُـنَّ سَـعِيرُ(٩٥).

والدهر فارس يقاتل فوق صهوات الجياد:

أطاعِنُ خَيْلاً مـن فَوارِسِها الدَّهْرُ وَحِيدًا وما قَوْلِي كذا ومَعِي صَبْرِي(٩٦)؟!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والقتلى منار:

إذا سلك السَّماوَةَ غيرُ هادٍ فقَتْلاهُمْ لعَيْنَيْهِ مَنارُ[٩٧].

والسيف دواء[٩٨]، والسحاب غراب[٩٩]، والشعر ملك[١٠٠]، وفهر ومداك[١٠١]، والبين سيف[١٠٢]، والخيول سهام[١٠٣]، والرسائل دروع يتقي الخصم الحرب بها[١٠٤]، والموت لص دقيق الجسم يصول بلا كف ويسعى بلا قدم[١٠٥]، وشعر الخيل عنان تقاد به، والكلام – حين يزجرها– سياط[١٠٦].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٤

الإغراب اللغوي (*)

تكتسب اللغة – في مختلف جوانبها– سمات خاصة ينحو فيها المُتَنَبِّي منحى الصوفية في الإغراب، فنراه يلم إلمامهم بالشوارد والشواذ، ويعدل – في غير قليل من الأحيان– عن القياس، ويهيم بالتصغير والإشارة والضمائر والنداء كما هاموا، ويتصنع – مثلما يتصنعون– للنادر والغريب من اللغات.

وقد وقف العقاد عند التصغير في شعره، وربط بينه وبين تعاليه وازدرائه أو احتقاره – فيما يرى– للأشياء(١). غير أن هذا التعليل – فيما يرى شوقي ضيف ونراه في الحق معه–: " لا يثبت في نفس الظاهرة؛ إذ نرى المُتَنَبِّي لا يقف بتصغيره عند التحقير، بل يذهب به إلى التعظيم كما يذهب إلى التحقير "(٢). فهو يصغر حبيبته تصغير تعظيم في قوله:

إذا عَذَلُوا فيها أَجَبْتُ بأَنَّهِ ... حُبَيِّبَتا قَلْبا فُؤادا هَيا جُمْلُ(٣).

ويصغر على هذا النحو الليلة الطويلة في قوله:

أُحادٌ أمْ سُداسٌ في أُحادِ ... لُيَيْلَتُنا المَنُوطَةُ بالتَّنادِ(٤)؟

ويصغر فعل التعجب – في غزله– وهو أبعد ما يكون عن التقليل أو الاحتقار:

أيا ما أُحَيْسَنَها مُقْلَةً ... ولولا المَلاحَةُ لم أَعْجَبِ(٥).

ويصغر اسم الإشارة – في إطار كلفه بالإغراب – وهو يجيء كسابقه على غير قياس:

أذا الغُصْنُ أم ذا الدَّعْصُ أم أنتِ فِتْنَةٌ ... وذَيّا الذي قَبَّلْتُهُ البَرْقُ أم ثَغْرُ(٦)؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

و "اللُّذَيَّا"[٧] –وهو من الأسماء الموصولة– و "أُطَيْقال"[٨]، و "أُصَيْحاب"[٩]، و "أُصَيْبِيَة"[١٠]، و"أُبَيّات"[١١]، و"شُوَيْهات"[١٢]، – وهي جموع كما ترى – و"أُعَيْور"[١٣] –تصغير أعور– و"أُحَيْمَق"[١٤] –وهما على زنة أفعل– و"أُهَيْل"[١٥]، و"وُلَيْد"[١٦]، و"بُيَيْضَة"[١٧]، ونحوها من الأسماء[١٨].

ويعلل الدكتور شوقي ضيف لهذه الكثرة المفرطة من التصغير في شعره– بعد أن أورد رأي العقاد وأبدى تحفظه نحوه– بتأثره– وهو يدعم ما نحن بصدده– بأساليب المتصوفة، وتصنعه– كما تصنع في غير التصغير– لها[١٩].

ونراه يغرب –إغرابهم– بوسائل أخرى متعددة– غير التصغير– فيسقط الياء من الاسم الموصول "الذي"، ويسكن الذال قبلها:

وإذا الفَتَى طَـرَحَ الكَلامَ مُعَرِّضًا ... في مَجْلِسٍ أَخَذَ الكَلامَ اللَّذْ عَنَى[٢٠].

ويحذف هاء التنبيه من "هذى" – كما اعتدنا أن ننطقها بها– فتشبه "ذي" بمعنى صاحب:

ماذا يَقُولُ الـذي يُغَنِّي ... يا خيرَ مَـنْ تحتَ ذِي السَّماءِ[٢١]؟

ومن " هاتين ":

اخترتُ دَهْمـاءَ تَيْنِ يا مَطَرُ ... ومَنْ لـه في الفَضائلِ الخيَرُ[٢٢].

والنون من الفعل "يكون" – في غير موضع حذف له كما يقول العَكْبَرِيُّ –:

جلالاً كمـا بِي فَلْيَكُ التَّبْرِيحُ ... أَغِذاءُ ذا الرَّشَأ الأَغَنُّ الشِّيحُ[٢٣] ؟

ومن " اللذين ":

فوالأسَفـا أَلاَّ أكِبَّ مُقَبِّلاً ... لرَأْسِكِ والصَّدْرِ اللَّذَيْ مُلِئا حَزْما[٢٤].

والهمزة من آخر الفعل المزيد بعد إسناده إلى الضمير:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أظْمَتْنِيَ الدُّنْيا فلَمّا جِئْتُهـــــا مُسْتَسْقِيًا مَطَـــرَتْ عليَّ مَصائبا[٢٥].

ويبدل الهمزة ياءً ويجريها في الوصل مجرى الوقف:

كيفَ أُكافِي علـــــى أجَلِّ يَدٍ مَـــنْ لا يَرَى أنَّها يَدٌ قِبَلِي[٢٦]؟

ويقلب الياء ألفًا – للتخفيف– في النداء:

إذا عَذَلُـــــوا فيها أجَبْتُ بأنَّةٍ حُبَيِّبَتا قَلْبا فُـــــؤادا هَيا جُمْلُ[٢٧].

وفيه يتوالى النداء، ويجتمع – إمعانًا منه في الإغراب– التصغير مـــع القلـــب.

ويصل القطع ويقطع الوصل:

وَصَلَتْ إليكَ يَدٌ سَواءٌ عِنْدَهـــا ألبازُ الاشْهَبُ والغُـــرابُ الأَبْقَعُ[٢٨].

ويقصر الممدود:

ويَوْمًا يَغِيظُ الحاسِدِينَ وحالَـــــةً أُقِيمُ الشَّقَا فِيها مقـــــامَ التَّنَعُّمِ[٢٩].

وكان بإمكانه – لو أراد– تفادى هذا القصر بوضع "بها" – وحروف الجر ينوب بعضها عن بعض– مكان "فيها". لكنه يريد الإغراب – كما ذكرت– وقد جمع – في بيت واحد– بين القصر – لكلمة واحدة– والمد:

خُذْ مـــــن ثَنايَ عليكَ ما أَسْطِيعُهُ لا تُلْزِمَنِّي فـــــي الثَّناءِ الواجِبا[٣٠].

ومما قصر فيه كذلك – وقد زعم ابن فُورَّجَةَ أنه لم يقصر في شعره إلا مـــرة واحدة[٣١] – " البكا "[٣٢]، و " رضـــاه "[٣٣]، و " رضـــى "[٣٤]. ويفـــك التـــدغيم ضرورة – وله نظائر في الشعر القديم –:

ولا يُبْرَمُ الأَمْرُ الذي هـــــو حالِلٌ ولا يُحْلَلُ الأَمْرُ الذي هـــو مُبْرِمُ[٣٥].

ويخفف التضعيف في نحو " أرَّجانَ ":

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أرَجـــــــانَ أيَتُها الجيادُ فإنَّه عَزْمِي الذي يَذرُ الوَشِيجَ مُكَسَّرا[٣٦].

يقول لخيله اقصدي هذا المكان – فيجتمع التخفيف مع الحذف- ويتصرف في الاسم الأعجمي فيعيد صياغته على نحو يتوافق والوزن – في مثل "رُسْطالِيسَ"[٣٧]، و"فَنَاخُسْرَ"[٣٨]، و"دِلِيرَ بن لَشْكَرَوَزَ"[٣٩]، و"وَهْشُوذانَ"[٤٠]، و"أبْرَوازَ"[٤١] – ويعامل الواحد معاملة الجمع والجمع معاملة المفرد[٤٢]، ويؤنث ما يجب التذكير فيه:

وصـــارَتِ الفَيْلَقـــــانِ واحـــدةً تَعْثُـــرُ أحْياؤُهـــــا بمَوْتاهـــا[٤٣].

إلا إذا قدرنا – كما أجابوا عنه- الفيلق بالكتيبة. وما قد يغلب- كالملك- التذكير فيه على التأنيث:

وأرديَةٌ خُضْرٌ ومُلْكٌ مُطاعَـــــةٌ ومَرْكُوزَةٌ سُمْرٌ ومُقْرَبَةٌ جُـــرْدُ[٤٤].

ويذكر ما يجب التأنيث فيه:

فلَيْتَهـــا لا تَـــزالُ آوِيَـــــــهُ ولَيْتَـــهُ لا يَـــزالُ مَأْواهـــــا[٤٥].

هكذا رواه ابن جِـنِّي – بالهاء في كلمة " آويه "- وهو أعلم بـشعره، وكـان يراجعه المرة تلو الأخرى فيه. ويترك الأولى – فيما يجوز التذكير فيه والتأنيـث- فيذكر والأولى- فيما ذكره ابنُ جنِّي ونقله الواحِدِيُّ عنه – التأنيث:

مُخْلَى لـــــه المَرْجُ مَنْصُوبًا بصارِخَةٍ لـــــه المَنابِرُ مَشْهُودًا بها الجُمَعُ[٤٦].

ويقيم المصدر مقام الاسم:

وأنَّ إعطـــــــاءَهُ الصَّوارِمُ والـــ ـــخَيْلُ وسُمْرُ الرِّمـــاحِ والعَكَرُ[٤٧].

يريد " عطاءه " فعدل عنها إلى الإعطاء. ونحوه:

إذا امْتَلأَتْ عُيُـــونُ الخَيْـــلِ مِنِّـــي فوَيْـــلٌ للتَّيَقُّـــــــظِ والمَنَـــامِ[٤٨].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يريد " اليقظة " فعدل عنها كذلك إلى التيقظ. وينـزل العاقل منـزلة من لا عقل له:

فما العاذِلُونَ ومـــــا أثَّلُوا وما الحاسِدُونَ ومـــــا قَوَّلُوا[٤٩]؟

ومثله قوله:

ليتَ المَدائحَ تَستَوْفِي مَناقِبَـــــهُ فما كُلَيْبٌ وأَهْلُ الأَعْصُرِ الأُوَلِ[٥٠]؟

وفيه – كسابقه– نبرة تهوين– قد ترضى الممدوح– أو تحقير. ويرفـع مـن لا عقل له إلى مرتبة العقلاء:

ولَتَمْضِنَّ حيثُ لا يَجِدُ الرُّمْـــــ ـحُ مَدارًا ولا الحِصـانُ مَجالا[٥١].

يعني الخيول والرماح – وقد جادله ابنُ جنِّي فيه– وله نظائر أخرى كثيرة فـي شعره[٥٢]. ويرد الضمير على المعنى لا اللفظ – فيؤنث بدلاً من التذكير– في قوله:

مَتَى تَزُرْ قَوْمَ مَـــنْ تَهْوَى زِيارَتَها لا يُتْحِفُـوكَ بغَيرِ البِيضِ والأَسَلِ[٥٣].

ولو رده على اللفظ لقال " زيارته " كما أفاد العَكْبَرِيُّ. ويُضَمَّنُ " حف " معنـى أحاط فيعديه– وهو متعد بنفسه – بالباء:

كأنَّها فـي نَهارِهـــــا قَمَـرٌ حَفَّ بها مـــن جِنانِهـا ظُلَـمُ[٥٤].

ونقرأ كذلك في شعره " ركضت بالخيل " والمعروف – كما جـاء فـي شـرح المشكل[٥٥] – ركضت الخيل، و"مشتمله" والأجود مشتملاً به[٥٦]. ويعدى اللازم بغير همز أو تضعيف:

خَيْرُ الطُّيُورِ على القُصُورِ وشَرُّهـــا يَأْوِي الخَـرابَ ويَسْكُنُ النَّاوُوسا[٥٧].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فالمسموع في مثله: " يأوى إلى "، وفي القرآن الكريم [أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ...][٥٨]. ويعدي ما لا يتعدى إلا إلى مفعول واحد - كـ "يُشَهِّي" - إلى مفعولين:

فنالَ حَياةً يَشْتَهِيها عَدُوُّهُ ومَوْتًا يُشَهِّي المَوْتَ كلَّ جَبانِ[٥٩].

ويعدل عن الشائع إلى النادر، وعن المسموع إلى غير المسموع؛ فيجمع " أرْض " على " أُرُوض ":

أُرُوضُ النّاسِ مِن تُرْبٍ وخَوْفٍ وأَرْضُ أَبِي شُجاعٍ مِن أمانِ[٦٠].

و"كَبِد" على "كُبُود"[٦١] و"أَكْبُد"[٦٢]، و"تاجِر" على " تَجْر"[٦٣]، و"ناقَة" على "أَنْوُق"[٦٤] و"أَياتِق"[٦٥] و"اناق"[٦٦]، و"عَيْن" - ويعني بها الجارحة- على "أَعْيان"[٦٧]، و"اللغة" على "اللُّغَى"[٦٨] لا اللغات، و"جِلْباب" على "جَلابِب"[٦٩] لا جلابيب، و"حاجِب" على "حَواجِيب"[٧٠] لا حَواجِب، و"بَيْت" - من الشِّعر- على "بيوت"[٧١] لا أبيات، و"الجَمَل" على "جمائل"[٧٢] لا جمال، و"الدار" على أَدْوُر"[٧٣] و"السّاعة" على "ساع"[٧٤]، و"الخَيال" على "خَيالات"[٧٥]، و"البُوق" - وقد عابه الناس عليه وصححه ابن جنِّي- على "أبواق"[٧٦].

وتفجؤك - حين تقرأ شعره- كلمات كتلك: "تَفاوَحَ"[٧٧] - وقد أدهشت شعراء مصر في زمنه فأخذوها فيما قيل عنه- و"يُشاغِل"[٧٨] - وقد ابتذلتها العامة وعاب ابن جنِّي استخدامها عليه- و"انْهَوَى"[٧٩] - وهو على غير قياس- و"طَواعَة"[٨٠]- من طعت الشيء والمشهور فيه طاعة وطواعية- و"الكَمِيل"[٨١] و"الشَّجِيع"[٨٢] - على زنة فعيل وقلما يبالغ فيهما على هذا النحو - و"نِسْوان"[٨٣] -وقد عدل فيها كالعوام عن النساء- و"المُسْتار"[٨٤] - مفتعل من السير- و"الضَّيْغَن"[٨٥] - وهو الذي يجيء مع الضيف بغير استضافة- و"الخِشْف"[٨٦] - يريد الخِشْفان وهو الصغير من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الظباء- و"تَأَيَّدَها"[٨٧] – يريد تأوَّدَها فلم يحسن فيه البناء- و"قَصُوْرَة"[٨٨] – بدلاً من قصيرة- و"أغْدَر"[٨٩] – بدلاً من غادر- و"إيْما"[٩٠] بدلاً من إمّا- و"غَطا"[٩١] – بالتخفيف وهو صحيح لغة بدلاً من غَطّا بالتشديد- و"اتَّرَكَ"[٩٢] – وهو ما تجيزه اللغة كذلك بدلاً من ترك- و"غَلِتَ"[٩٣] – بصوت التاء المرقق بدلاً من غلط بصوت الطاء- و"إلاك"[٩٤] – وفيه ترك للأجود بدلاً من إياك- و"فَمها"[٩٥] – بالميم بدلاً من "فوها" وأكثر من ما يستخدم الفم مضافًا بغير الميم- و"الجَيْئَة" و"الذُّهُوب"[٩٦] – وكلاهما مصدر بدلاً من المجيء والذهاب- و"مِلْجِنّ"[٩٧] و"مِلْوَحْش"[٩٨] – ولهما نظائر لدى غيره بدلاً من "من الجن" و "من الوحش"- و"العِبِدّي"[٩٩] – جمعاً لعبد بدلاً من العبيد- و"هَنّا"[١٠٠] – بمعنى هنا وهو غريب في التصريف- و"الهِتْن"[١٠١] – بمعنى الهاتن وقد خطأه ابن القَطّاع فيه- و"الإيراق"[١٠٢] – وخُطِّئَ كذلك فيه من الأرق- و"الدُّنا"[١٠٣] – وليس ثم غير دنيا واحدة إلا لدى من يؤمنون بالتناسخ والأدوار- و"أعوز" – "قال أبو الفَتْح: كان الوجه أن يقال أشد إعوازًا؛ لأن ماضيه أعوز، ولكنه جاء على حذف الزيادة"[١٠٤] – و"أسوء من"[١٠٥] – وقد أجاب صاحب المشكل عنه[١٠٦] – و"الحشْيان"[١٠٧] – وقد أنكرها بعضهم عليه وصححها العَكْبَرِيُّ – و"الهَذَيان"- "قال أبو الفَتْح: الهذيان من فصيح كلام العرب ولم يذكره الجَوْهَرِيُّ ولا ابن فارس في مجمله"[١٠٨] – و"الخازباز"[١٠٩] – وقد اختلفوا في معناه فقيل الذباب وقيل صوته وقيل نبت وقيل داء- و"جِبْرين"[١١٠] – وقد صحت بعض القراءات فيه لغة في "جِبْرِيلَ" وهي لغة بني أسد- و"المَوْرُود"[١١١] – وهو "المحموم" في لغة اليمن- و"مَرْء"[١١٢] لغة في "امرئ" – و"أَبَيْكَ"[١١٣] – لغة في "أبويك"- و"التَّوْراب"[١١٤] – لغة في "التراب" – و"لِهَنَّكَ"[١١٥] – لغة في "لأنك"- و"مَخْشَلَب"[١١٦] – وهي كلمة نبطية- و"نَواطِير"[١١٧] – وهي كذلك من لغة الأنباط- و"القَيْل"[١١٨] – وهو المَلِك بلسان حمير- و"لاهُوْتِيَّة"[١١٩] – وهي كلمة عبرانية تقابل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الناسوتية- و"النّاوُوس"[١٢٠] – مقابر النصارى أو المجوس- و"سِرْوال"[١٢١] و"النَّيْرُور"[١٢٢] و"الفِرِنْد"[١٢٣] و"الشّوذانِق"[١٢٤] و"شاهِنْشاه"[١٢٥] و"الدُّمُسْتُق"[١٢٦] و"البِطْرِيق"[١٢٧] و"المَنْجَنِيق"[١٢٨] – وكلها من الدخيل.

وإذا كنا قد اعتدنا على "فَعُول" و "فَعِيل" و "فَعّال" و "مِفْعال" و "فَعِل" في المبالغة ففي شعره "فِعِّيل" و "مِفْعَل":

الخائضَ الغَمَراتِ غيرَ مُدافَعِ والشَّمَّرِيَّ المِطْعَنَ الدِّعِّيسا[١٢٩].

وقد جمعهما – كما رأيت- في بيت. ونراه – على غير المعتاد- يرخم في غير النداء:

مَهْلاً ألا للهِ ما صَنَعَ القَنا في عَمْرِو حابِ وضَبَّةَ الأَغْتامِ[١٣٠].

ويأتي باسم "إن" نكرة في غير مواضع التنكير:

وإنَّ مُحالاً إذْ بكَ العَيْشُ أنْ أُرَى وجِسْمُكَ مُعْتَلٌّ وجِسْمِيَ صالِحُ[١٣١].

ويضيف "ذوات" إلى الضمير:

سِرْبٌ مَحاسِنُهُ حُرِمْتُ ذَواتِها داني الصِّفاتِ بَعِيدُ مَوْصُوفاتِها[١٣٢].

ويمنع المصروف – وهو جائز عند الكوفيين غير جائز عند بعض البصريين- من الصرف:

وحَمْدانُ حَمْدُونٌ وحَمْدُونُ حارِثٌ وحارِثُ لُقْمانٌ ولُقْمانُ راشِدُ[١٣٣].

ويصرف – في غير ضرورة – الممنوع منه:

والنَّقْعُ يَأْخُذُ حَرّانا وبُقْعَتَها والشَّمْسُ تُسْفِرُ أَحْيانًا وتَلْتَثِمُ[١٣٤].

ويأتي بثلاثة مبتدآت في شطرة، فيعقد – من ثم – التركيب:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فَتًى أَلْفُ جُزْءٍ رَأْيُهُ فِي زَمَانِهِ أَقَلُّ جُزَيْءٍ بَعْضُهُ الرَّأْيُ أَجْمَعُ(١٣٥).

ويبدأ بالنكرة ويأتي بالخبر نكرة مثلها – وإن أمكن فيه التأويل–:

عَجْزٌ بحُرٌّ فاقَـــــةٌ وورَاءَهُ رِزْقُ الإلَـــــهِ وبابُكَ المَفْتُوحُ(١٣٦).

ويحذف "أن" ويُبقي عملها– على مذهب الكوفيين–:

وكُلَّمـــــا لَقِيَ الدِّينارُ صاحِبَهُ فِي مُلْكِهِ افْتَرَقَا من قَبْلِ يَصْطَحِبا(١٣٧).

وهو ممتنع لدى البصريين. ويُنـــزل "بل" و "لم" منـــزلة الاسماء فيعربهما:

مَنْ اقْتَضَى بسِوَى الهِنْدِيِّ حاجَتَهُ أَجابَ كلَّ سُؤالٍ عـــن هَلِ بلَمِ(١٣٨).

وكذلك " قد ":

أَمْضَي إرادَتَهُ فسَوْفَ لـــــه قَدّ واسْتَقْرَبَ الأَقْصَى فثَمَّ لـــه هُنا(١٣٩).

ويأتي بالشرط مضارعًا والجواب ماضيًا:

هِنْدِيَّةٌ إنْ تُصَغِّـــرْ مَعْشَرًا صَغَرُوا بحَدِّها أو تُعَظِّمْ مَعْشَرًا عَظُمُوا(١٤٠).

وهو أضعف أشكال الشرط. ويُسقط الفاء ضرورة في جواب "إذا" الطلبي:

مَلِكٌ إذا عادَيْتَ نَفْسَكَ عـــــادِهِ ورَضِيْتَ أَوْحَشَ ما كَرِهْتَ أَنِيسا(١٤١).

ويحذف لام الأمر ولا يبقي إلا تسكين الفعل دليلاً عليه:

جَزَى عَرَبًا أمستْ ببُلْبَيْسَ رَبُّها بمَسْعاتِها تَقْرِرْ بذاكَ عُيُونُهـــا(١٤٢).

ويدخل لام التأكيد على " كأنَّ ":

صَغَّرْتَ كلَّ كَبِيرَةٍ وكَبُرْتَ عن لكأنَّهُ وعَدَدْتَ سِنَّ غُـــــلامِ(١٤٣).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهو قليل جدًا ولا يمنع منه القياس. ويبني "أفعل" من "المفعول" – على حد فهم الواحديِّ– وهو شاذ:

كُفِّي أراني ويْكِ لَوْمَكِ ألْوَما ... هَمَّ أقَامَ على فُؤادٍ أنْجما(١٤٤).

ويجر بـ "لات" – وهي من لغة اليمن– ما بعدها، وهو كذلك شاذ:

لقدْ تَصَبَّرْتَ حتَّى لاتَ مُصْطَبَرِ ... فالآنَ أقْحَمُ حتَّى لاتَ مُقْتَحَمِ(١٤٥).

ويجيء بالحال من المضاف إليه، وهو قليل وضعيف:

مـــا قُوبِلَتْ عَيْناهُ إلا ظُنَّتا ... تحتَ الدُّجَى نـارَ الفَرِيقِ حُلُولا(١٤٦).

ويصل "أنْ" الخفيفة – لا الثقيلة– بالضمير:

قـــد أجمعتْ هَذِهِ الخَلِيقَةُ لِي ... بأنْكَ يا ابنَ النَّبِيِّ أوْحَدُهـــا(١٤٧).

ويثبت ألف الضمير "أنا" في الوصل، ويجريه – للتأكيد على ذاتـه– مجـرى الوقف:

وتُنْكِرُ مَوْتَهـــــم وأنا سُهَيْلٌ ... طَلَعْتُ بمَـــوْتِ أوْلادِ الزِّناءِ(١٤٨).

والكوفيون يرون هذا، ولا يراه البصريون. ويشير بـ "هذا" و "ذا" إلـى غيـر معلوم:

ضَرَبتُ بهـــا التِّيْهَ ضَرْبَ القِما ... رِ إمّـــا لهذا وإمّـــا لذا(١٤٩).

يعني النجاة أو الهلاك على ما اجتهد الشراح فيه. ويعيد الضمير علـى غيـر مذكور(١٥٠)، وعلى لاحق(١٥١) – وهو ما يسمونه بالإضمار على شريطة التفـسير– ويعطف عليه – وهو جائز عند الكوفيين– بغير توكيـد(١٥٢). ويـرخم فـي نحـو "عُمَر"(١٥٣)، ولم يجزه – أعني ما كان من الأسماء على ثلاثة أحـرف– الكِـسائيُّ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والبصريون. ويدخل "إذ" على "حيث"(١٥٤)، وفيه خلاف. ويحيل نون التوكيد الخفيفة ألفًا في المصراع؛ فنقرأ في أحد مطالعه:

بادِ هواكَ صبَرْتَ أم لـــم تَصبِرا وبكاكَ إنْ لم يَجْرِ دَمْعُكَ أو جَرَى(١٥٥).

يعني "لم تصبرن". وفي القافية:

أقْصِرْ ولستَ بمُقْصِرٍ جُزْتَ المَدَى وبَلَغْتَ حيثُ النَّجْمُ تَحْـتَكَ فارْبَعا(١٥٦).

وهو مما دوخ به الشراح – فتمحلوا له التخريج– كما دوخهم في قوله:

مَلِكٌ زَهَتْ بمكانـــــهِ أيّامُهُ حتَّى افْتَخَرْنَ بـــــــهِ على الأيّامِ.

قال ابن جنِّي: " أراد زهيت فأبدل من الكسرة فتحة فانقلبت الباء ألفًا، ثـم حذفت لالتقائها مـع الهاء الساكنة على لغـة طيء "(١٥٧). ومثلها في شعره "بَقَـى" بفتح القاف – بدلاً من كسرها– وتسكين الباء– بدلاً من فتحها– كما ينطقهـا– وقـد احتذى فيها لغتهم– الطائيون(١٥٨). وقوله:

أطَعْناكَ طَوْعَ الدَّهرِ يا ابنَ ابنِ يُوسُفٍ بشَهْوَتِنا والحاسِدُو لكَ بالرُّغْـــمِ(١٥٩).

وحقها "الحاسدون". وقوله:

ألا أذِّنْ فمـــــا أذْكَرْتَ ناسِي ولا لَبَّثْتَ قَلْبًا وهْـــوَ ناسِي(١٦٠).

وحقها "ناسيًا". وقوله:

فلا يُبَلْ قاتِلٌ أعادِيَـــــــهُ أقائمًا نالَ ذاكَ أم قـــــاعِدُ(١٦١).

وحقها "فلا يبالِ". وقوله:

أسائلُ عنكِ بَعْدَكِ كلَّ مَجْـــدٍ ومـــا عَهْدِي بمَجْدٍ عنكِ خالِ(١٦٢).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وحقها "خاليًا"، إلا إذا اعتبرناها صفة – كما تمحل بعض المفسرين – لمجد.

وقوله:

فأرحامُ شِعْرٍ يتَّصِلْنَ لَدُنَّهُ وأرحامُ مـــــالٍ لا تَنِي تَتَقَطَّعُ.

قال ابن جنِّي: " (لدنه) فيه قبح وشناعة، وليس هو معروفًا في كلام العرب "[١٦٣]. ودافع العَكْبَرِيُّ – كعادته– عنه، وتحدث طويلاً – في شرحه للبيت– عن حذف "من" قبل "لدن"، واستخدام "لا تنى" بمعنى لا تزال. وقوله:

يَرَى حَدَّهُ غامِضاتِ القُلُـــوبِ إذا كنتُ في هَبْـــوَةٍ لا أراني.

قال العَكْبَرِيُّ: " قد عيب عليه قوله (لا أراني)، وهذا لا يكون إلا في أفعال الشك واليقين؛ نحو (ظننتُني) و (حسبتُني)، وقد جاء شاذًا (فقدتُني) و (عدمتُني)، ولا يقال (ضربتُني) ولا (أكرمتُني)، وإنما يقال ضربتُ نفسي وأكرمتُ نفسي، فكان ينبغي أن يقول: لا أرى نفسي. وقد جاء (رأيتُني) فحمله على هذا "[١٦٤]. وقوله:

خَلَتِ البِلادُ من الغَزالَةِ لَيْلَها فأعاضَهاكَ اللهُ كي لا تَحْزَنا[١٦٥].

وقد نقل العَكْبَرِيُّ اختلاف النحاة – سِيبَوَيْه والمُبَـرِّد والأَخْفَش – في مثل "فأعاضهاك"، والظاهر– برغم دفاعه المستميت عن المُتَنَبِّي في سائر أجزاء الديوان– عدم الجواز.

ويلحق بالإغراب ما نراه – نتيجة التقديم والتأخير أو الإضمار أو الإيجاز أو الحذف– من قلق الصياغة– في مطالعه الغريبة التي أدهش بها النقاد على وجه خاص أو في سائر الأبيات– وما يستتبعه – في رأيي– من تعقيد أسلوبي. وقديمًا قالوا تضيق العبارة– فيعتريها ما يعتريها من الخلل– حين يتسع– كما يلاحظ في شعر أقطاب التصوف كابن الفارِضِ – المعنى؛ فهو يبدأ حين يبدأ– ولا تزال الفكرة غائمة في رأسه– كالجواد المقيد، ثم لا يلبث هذا الجواد أن ينطلق– وإن لم يتخلص

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بشكل تام من العثار - وهو يغلي - فتفور على شفتيه الكلمات حمحمة وصهيلاً - غليان المرجل.

واقرأ - إن شئت - مطالعه، فسوف تلاحظ ما لاحظه القدماء من الغرابة - وهو من أكثر الشعراء كما وصفوه غرابة ابتداء - والقلق - في بناء عبارته - والاضطراب. وإليك هذه النماذج أسوقها - ولن أقف طويلاً عندها - للاستدلال:

كُفِّي أراني ويْكِ لَوْمَكِ ألْوَمَا هَمٌّ أقامَ على فُؤادٍ أنْجَما[١٦٦].

يخاطب امرأة مجهولة - وما هكذا يكون الخطاب - فينهاها - منذ البدء - ويأمرها، ويعترض - متعجبًا - بـ "ويك" بين الفعل المتعدى لأكثر من مفعول وفاعله المؤخر "هم"، وينصب اللوم على المفعولية ويضيفها - بعد تقديمها على الفاعل - إلى المرأة التي يطلب منها أن تكف عن الملام، ويجعل ما أراه الهم الذي أقام على فؤاده زمنًا ألوم - بصيغة التفضيل - من لومها، فيعقد في نفسه مقارنة عجلي بين اللومين، ويطلعها - في إطار نهيه لها عن الاستمرار في اللوم - بنتيجتها. وقد أرهق نفسه وأرهقنا معه، كما أرهقنا - وأرهق الشراح - في قوله:

أحادٌ أم سُداسٌ في أُحادِ لُيَيْلَتُنا المَنُوطَةُ بالتَّنادِ[١٦٧]؟

أراد "أأحاد" فحذف همزة الاستفهام، وصغر "ليلة" تصغير تهويل لا تحقير، وأضمر التمييز فلم يُعرف المقصود بتلك الأعداد على وجه التحديد؛ فقيل فسره بالبيت التالي له "كأنَّ بَنات نَعْشٍ.." - وتبنى ماسينيون هذا الرأي فذكر أن المُتَنَبِّي رمز لتلك النجوم بها[١٦٨] - وقيل بل المراد ست ليال في ليلة؛ فتكون الليلة قد احتوت على نفسها وعلى باقي ليالي الأسبوع؛ يريد بذلك أن يشير إلى الدهر؛ لأن الدهر ما هو إلا محصلة لتوالي تلك الليالي - سَبْعًا فسَبْعًا - حتى التنادي أو البعث[١٦٩]. وقوله:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أمِنَ ازْدِيارَكِ في الدُّجَـــى الرُّقَباءُ إذْ حيثُ كنتِ من الظَّلامِ ضِياءُ[١٧٠].

وفيه " ينأى بجانبه عن ذكر الأطلال والديار إلى مخاطبة صاحبته مباشرة كما قد يفعل الصوفية في غزلهم، ولعله من أجل ذلك لم يُسَمِّ صاحبته علـــى طـــريقتهم واكتفى بأن جعلها ضياء لا يحل في ظلام إلا وينيره. ونحن نجد الشعراء يـــشبهون صواحبهم بالشمس والقمر ويجعلونهن نورًا وضياء، ولكن العبارة في البيت ونظامها وما فيها من الجمع بين الظرفين (إذ حيث) تدل على تكلف الشاعر وأنـــه يريـــد أن يعبر عن معنى غير طبيعي "[١٧١]. وقوله:

وَفاؤكُما كالرَّبْعِ أَشْجاهُ طاسِمُـــــهْ بأنْ تُسْعِدا والدَّمْعُ أَشْفاهُ ساجِمُهْ[١٧٢].

وهو مبني على التقديم والتأخير، وقد يستقيم – شيئًا ما- إذا أعدنا ترتيبه علـــى هذا النحو: "وفاؤكما بأن تسعدا كالربع..." فكما أن الربع – وقد بنى البيت على هذا التشبيه- يكون أكثر إشجاء للنفس حين يزداد اندثارًا وتمتد يد البلى إليـــه فـــتطمس معالمه وآثاره، كذلك الوفاء – وفاء هذين الشخصين المجهولين اللذين يخاطبهما على طريقة القدماء – بالإسعاد أو العون، وكذلك أيضًا الدمع؛ فأشفى الدمع ما انسجم منه من العينين ففجر – بانسجامه منهما – الحزن الدفين أو المتراكم في الأحشاء. وقوله:

بَقائي شاءَ ليسَ هُـــمُ ارْتِحالا وحُسْنَ الصَّبْرِ زَمُّـــــوا لا الجِمالا.

وهو قائم كذلك على التقديم والتأخير، وقد اختلف الشراح كثيرًا فـــي تفـــسيره، ونقل العَكْبَرِيُّ عنهم هذا الاختلاف[١٧٣]. وقوله:

أَحَقٌّ عافٍ بدَمْعِكَ الهِمَـــــمُ أَحْدَثُ شَيْءٍ عَهْدًا بهـــــا القِدَمُ.

وقد سأله ابن جنِّي – وهو من هو في علوم العربية – عنه ففسره له[١٧٤]. ومما حذف منه – في غير المطلع- فأخل:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تَنَفَّسْ والعَواصِـــمُ منكَ عَشْرٌ فيُعْرَفُ طِيبُ ذلك فـــي الهَواءِ(١٧٥).

يريد على مسيرة عشر ليال، يقول – مخاطبًا سيف دولته – إنك – حين تغـزو الأعداء أو ترحل من مكان إلى مكان – تتنفس– وقد حذف من الفعل كـذلك إحـدى التاءين – فيعرف أهل البلاد التي تقصدها مقدمك وبينك وبينهم مسافة عـشر ليـال بطيب رائحة الهواء. وقوله:

قالتْ وقد رَأَتْ اصفِراري مَنْ بِهِ وتَنَهَّدَتْ فأَجَبْتُهـــا المُتَنَهِّدُ(١٧٦).

يعني – كما يُفهم ضمنًا من الجواب– مَنْ قتله أو من فعل ذلك بـــه؟ وقولـــه – وفيه على ما ذكره شارحه– أربع محذوفات:

بِئْسَ اللَّيالِي سَهِدْتُ مِـــنْ طَرَبٍ شَوْقًا إلى مَـــنْ يَبِيتُ يَرْقُدُها(١٧٧).

ومثله – في العدد – وقد نص على ما أحدثه المُتَنَبِّي فيه من الحذف:

جَرَّبْتُ من نارِ الهَوَى مـــا تَنْطَفِي نارُ الغَضا وتَكِلُّ عَمّـــا تَحْرِقُ(١٧٨).

ومما عَقَّدَ فيه التركيب بالتقديم والتأخير:

ولكنَّكَ الدُّنْيا إلىّ حَبِيبَـــــةٌ فما عنك لِي إلا إليكَ ذِهـــابُ(١٧٩).

وأصل الترتيب في الشطرة الثانية – لو لم نضع في الاعتبار مراعاة القافية – " فما لي عنك ذهاب إلا إليك ". ونحوه قوله:

أَنَّى يكونُ أَبا البَرِيَّـــــةِ آدَمٌ وأَبُوكَ والثَّقَـــلانِ أنتَ مُحَمَّدُ(١٨٠)؟

وقد وقف الشراح طويلاً عنده لإزالة ما به من لبس. وقوله – وقد أكثر فيه من اللاءات حتى ترك لغيره من شانئيه مغمزًا–:

جَوابُ مُسائِلِي أَلَـــــهُ نَظِيرٌ ولا لكَ فـــي سُؤالِكَ لا ألا لا(١٨١).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقوله – وقد تلاعب فيه بالضمير –:

قَبِيلٌ أنتَ أنتَ وأنتَ منهـــم وجَدُّكَ بِشْرٌ المَلِكُ الهُمـــــام[١٨٢].

وقوله – وقد التف عليه فيه التعبير –:

لو لم تكنْ من ذا الوَرَى اللَّذْ منكَ هُوْ عَقِمَتْ بمَوْلِـــدِ نَسْلِها حَوّاءُ[١٨٣].

فقد جاء فيه " بذا واللذ كما جاء بهو، وأخرج التعبير على هذا النحو الملتف لأنه يريد أن يعبر عن فكرة صوفية، هي فكرة الحلول، فهو يريد أن يقول إن ممدوحه من الورى والورى منه؛ كما يقول أصحاب الحلول في الذات العلية "[١٨٤].

ونراه يفرط كالمتصوفة في استخدامه اسم الإشارة – وفي شعره كما يقول القاضي الجُرْجانيُّ ما يزيد على ما يوجد في مجموعة من الدواوين القديمة[١٨٥] – والاستفهام والنداء – ونحوهما من الأساليب – ويولع– ولعهم– في الإكثار من الضمير؛ " وهي كثرة تأتي في أساليب المتصوفة لاعتمادهم في أشعارهم على فكرة الحلول وما يتفرع عنها من الملابسة والتجريد "[١٨٦]. وقد لاحظ الثَّعالِبيُّ تلك الكثرة – كما لاحظها غيره – منذ زمن قديم؛ فأشار إلى قوله:

وتُسْعِدُني في غَمْـــرَةٍ بعدَ غَمْرَةٍ سَبُوحٌ لهـــا منها عليها شَواهِدُ.

وقوله:

ولَوْلاَ أَنَّني فـــي غيرِ نَوْمٍ لَبِتُّ أَظُنُّني مِنِّـــي خَيالا.

وغيرهما[١٨٧] – مما يضيق عن ذكره المقام – ولاشك أن المُتَنَبِّي – كما يقول الدكتور شوقي ضيف – " حين عدل بشعره إلى العبارة الصوفية كان قد أسلم هذا الشعر إلى صعوبات في التركيب، وهي صعوبات كانت تميز أساليب المتصوفة في

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذه العصور لأن اللغة لم تكن قد اتسعت بعد لأداء أفكارهم ومعانيهم، ومن أجل ذلك كنا نجد عند المُتَنَبِّي كل ما يميز تعبير المتصوفة من انحرافات والتواءات"(١٨٨).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الهوامش والتعليقات

تمهيد

١- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لأبي مَنْصُورٍ الثَّعالِبِيِّ – ت. د. مفيد محمد قميحة – ط ١ (دار الكتب العلمية – بيروت سنة ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م) جـ ١ ص ٢١٣، ٢١٤.

٢- جـ ١ ص ٢١٣. وانظر: الصبح المنبي عن حيثية المُتَنَبِّي للشيخ يُوسُف البَدِيعِيِّ – ت. مصطفى السقا ومحمد شتا وعبده زيادة عبده – ط ٣ (دار المعارف – القاهرة سنة ١٩٩٤ م) ص ٣٨٥، ٣٨٦.

٣- ص ٢٤٥، ٢٤٦.

٤- ديوان أبي الطَّيِّبِ المُتَنَبِّي بشرح أَبِي البَقاءِ العَكْبَرِيِّ المسمى بالبيان في شرح الديوان – ت. مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي (دار المعرفة – بيروت – بدون تاريخ) جـ ٢ ص ١٩٣.

٥- المصدر نفسه جـ ١ ص ٣١١.

٦- المصدر نفسه جـ ٢ ص ٢٥٦.

٧- الصبح المنبي ص ٦٦.

٨- ص ٣١٣: ٣٢٥.

٩- الأدب في التراث الصوفي – د. محمد عبد المنعم خفاجي (مكتبة غريب – القاهرة – بدون تاريخ) ص ٥٧.

١٠- المرجع نفسه ص ٥٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١١- المرجع نفسه ص ٥٨.

١٢- المرجع نفسه والصحيفة.

١٣- في ترجمة ابن العَدِيمِ له: " أرضعته امرأة علوية من آل عُبَيْدِ اللهِ ". وفي ترجمة الرَّبْعِيِّ له كذلك قال الـمُتَنَبِّي: "رضعتُ بلبان علوية من بنات عُبَيْدِ اللهِ ". انظر نص الترجمتين في كتاب الشيخ محمود شاكر: الـمُتَنَبِّي رسالة في الطريق إلى ثقافتنا (دار المدني بجدة ومكتبة الخانجي بمصر - سنة ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م) ص ٥٨٩، ٦١٠.

١٤- الـمُتَنَبِّي ص ٢١٥: ٢٢٣.

١٥- خزانة الأدب جـ ١ ص ٣٨٢.

١٦- انظر مناقشة الشيخ محمود شاكر لتلك المسألة في كتابه " الـمُتَنَبِّي " ص ٥٠١: ٥٠٩.

١٧- ديوان أبي الطَّيِّبِ الـمُتَنَبِّي بشرح أَبِي البَقَاءِ العَكْبَرِيِّ جـ٤ ص٢٧: ٣٣.

١٨- الواضح في مشكلات شعر الـمُتَنَبِّي لأبي القاسِمِ عَبْدِ اللهِ بن عَبْدِ الرَّحْمَنِ الأَصْفَهانِيِّ - ت. محمد الطاهر بن عاشور (الدار التونسية للنشر - تونس سنة ١٩٦٨م) ص٧. وانظر: خزانة الأدب جـ٢ ص ٣٤٧ والفسر م٤ ص١٩٢.

١٩- ديوان أبي الطَّيِّبِ الـمُتَنَبِّي بشرح أَبِي البَقَاءِ العَكْبَرِيِّ جـ ١ ص ١٢.

٢٠- الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص ٣٠٤.

٢١- ديوان أبي الطَّيِّبِ الـمُتَنَبِّي بشرح أَبِي البَقَاءِ العَكْبَرِيِّ جـ ١ ص ١٢ رقم ٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢٢- الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص ٣٠٤.

٢٣- الصبح المنبي ص ٣٢٩، ٣٣٠.

٢٤- المصدر نفسه ص ٣٣٢.

٢٥- ترجم له الثَّعالِبيُّ في يتيمة الدهر – جـ ١ ص ٥٢١، ٥٢٢ – وجاء في تلك الترجمة أنه " كان يشبه – في حضور جوابه وبيان خطابه وحسن عبارته وكثرة درايته – بأبي العَيْناءِ، وكان قد تناول البلاذر فعرضت له منه لوثة، وكان الناس يتبعونه ويكتبون عنه ما يقول ".

٢٦- الصبح المنبي ص ١١٤.

٢٧- النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٥٣.

٢٨- الأدب في التراث الصوفي ص ٥٤.

٢٩- المرجع نفسه ص ٥٦.

٣٠- الصبح المنبي ص ١٦١.

٣١- المصدر نفسه ص ٩٤.

٣٢- ديوان أبي الطَّيِّبِ المُتَنَبِّي بشرح أَبِي البَقاءِ العَكْبَرِيِّ جـ ٢ ص ٦٤.

٣٣- المصدر نفسه جـ ١ ص ٣٧٩.

٣٤- الصبح المنبي ص ٣٠٨.

٣٥- المُتَنَبِّي ص ١٩٠.

٣٦- المرجع نفسه ص ١٨٩.

٣٧- المرجع نفسه والصحيفة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣٨- مع الـمُتَنَبِّي ص ٢٠٩.

٣٩- ص ٣٠٣: ٣٥٤.

٤٠- المرجع نفسه ص ٣٠٩.

٤١- المرجع نفسه والصحيفة. وفيه "الأوارجي" بدلاً من "الأوزاجي". وهو خطأ مطبعي أجزت لنفسي تصويبه.

٤٢- المرجع نفسه ص ٣١٣.

٤٣- المرجع نفسه ص ٣١٤.

٤٤- المرجع نفسه ص ٣١٧.

٤٥- المرجع نفسه ص ٣٢١، ٣٢٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(١)

أفكار ورؤى ومضامين صوفية

١- ديوان أبي الطَّيِّبِ الـمُتَنَبِّي بشرح أَبِي البَقاءِ العَكْبَرِيِّ جـ ١ ص ١٩٢.
وانظر كذلك: ص ٢٣٥ ب ٣٨، وجـ ٢ ص ٢٦٨ ب ٢: ٥.

٢- المصدر نفسه جـ ٤ ص ٧٢. وصدره " ومَنْ خَبَرَ الغَوانِي فالغَوانِي ".

٣- المصدر نفسه جـ ٢ ص ٤.

٤- الـمُتَنَبِّي ص ٣٣٣: ٣٥٣.

٥- ديوان أبي الطَّيِّبِ الـمُتَنَبِّي بشرح أَبِي البَقاءِ العَكْبَرِيِّ جـ ٢ ص ٣٨٧.

٦- المصدر نفسه ص ٣٨٣.

٧- المصدر نفسه جـ ١ ص ٤.

٨- المصدر نفسه والصحيفة.

٩- المصدر نفسه جـ ٢ ص ١٢٢.

١٠- المصدر نفسه ص ١٣٤.

١١- المصدر نفسه جـ ١ ص ٢٠٠.

١٢- المصدر نفسه جـ ٤ ص ١٩٢.

١٣- المصدر نفسه جـ ٢ ص ٩٢.

١٤- المصدر نفسه ص ٤.

١٥- المصدر نفسه جـ ٣ ص ١٨١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٦- المصدر نفسه والصحيفة.

١٧- المصدر نفسه جـ ٤ ص ١٨٩ ب ٣.

١٨- المصدر نفسه جـ ٢ ص ٩٥ ب ٧.

١٩- المصدر نفسه ص ١١٧ ب ٧.

٢٠- المصدر نفسه جـ١ ص ٤ ب ١٠، ص ٥ ب ١٤، ١٥، ص ١٩٩ ب ٣٦، ص ٢٨٠ ب ٤٢، ص ٢٩٨ ب ٩، جـ ٢ ص ١٢٣ ب ٣، ص ١٩٥ ب ٧، ص ٣١٠ ب ٢٢، جـ ٣ ص ٢١ ب ١، ص ٦٦ ب ١، ص ٦٧ ب ٣، ص ٧٥ ب ٢.

٢١- المصدر نفسه جـ ٤ ص ١٤٢.

٢٢- المصدر نفسه جـ ١ ص ٣٦.

٢٣- المصدر نفسه جـ ٣ ص ٣٣١.

٢٤- المصدر نفسه جـ ٤ ص ٣٧.

٢٥- المصدر نفسه جـ ٢ ص ٣.

٢٦- المصدر نفسه ص ١٩٣، ١٩٤.

٢٧- المصدر نفسه ص ٣٣٢، ٣٣٣.

٢٨- المصدر نفسه جـ ٢ ص ٣ رقم ٧٥، ص ٣٠٤ رقم ١٥٢، جـ ٣ ص ٧٤ رقم ١٨٢.

٢٩- المصدر نفسه جـ ٢ ص ١٢٤.

٣٠- المصدر نفسه جـ ٣ ص ٢٨٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣١- المصدر نفسه جـ ٤ ص ٢١١.

٣٢- المصدر نفسه جـ ١ ص ٣٧٥.

٣٣- المصدر نفسه ص ٣٧٤.

٣٤- المصدر نفسه ص ٢٦٣.

٣٥- المصدر نفسه جـ ٢ ص ١٢٨.

٣٦- المصدر نفسه ص ١٢٥.

٣٧- المصدر نفسه جـ ٤ ص ٧١.

٣٨- المصدر نفسه جـ ٢ ص ٣٥٨.

٣٩- المصدر نفسه جـ ٣ ص ١٠٩.

٤٠- المصدر نفسه ص ٧٧.

٤١- المصدر نفسه جـ ٣ ص ١٧٨.

٤٢- المصدر نفسه جـ ٤ ص ١٠٩.

٤٣- المصدر نفسه ص ٩٤.

٤٤- المصدر نفسه ص ٨٥.

٤٥- المصدر نفسه جـ ٣ ص ٣٩٥.

٤٦- المصدر نفسه ص ٨.

٤٧- المصدر نفسه والصحيفة.

٤٨- المصدر نفسه جـ ٣ ص ٣٣٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٤٩- المصدر نفسه جـ ٢ ص ٢٢١.

٥٠- المصدر نفسه جـ ٤ ص٢٩٠.

٥١- المصدر نفسه جـ ١ ص ٥٠.

٥٢- المصدر نفسه جـ٣ ص ٥١، ٥٢.

٥٣- المصدر نفسه ص ٦٥.

٥٤- المصدر نفسه ص ٢٢٤.

٥٥- المصدر نفسه جـ ١ ص ٣٧٦.

٥٦- المصدر نفسه جـ ٣ ص ٢٧٨.

٥٧- المصدر نفسه جـ ٢ ص ٢١٣.

٥٨- المصدر نفسه ص ٣٠٣.

٥٩- المصدر نفسه جـ ٣ ص ١٨، ١٩.

٦٠- الفتوة عند العرب – د. عمر الدسوقي (مكتبة نهضة مصر – القاهرة – بدون تاريخ) ص ١١: ٢٠.

٦١- المرجع نفسه ص ١٣.

٦٢- المرجع نفسه ص ١٩.

٦٣- ص ١٠٣.

٦٤- الفتوة عند العرب ص ٢٣٢.

٦٥- المرجع نفسه ص ٢٢١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٦٦- المرجع نفسه والصحيفة.

٦٧- ديوان أبي الطَّيِّبِ الـمُتَنَبِّي بشرح أَبِي البَقَاءِ العَكْبَرِيِّ جـ ٤ ص ٢٨٤.

٦٨- المصدر نفسه جـ ٢ ص ٨١.

٦٩- المصدر نفسه ص ١٢٥.

٧٠- المصدر نفسه ص ٣٤٦.

٧١- المصدر نفسه جـ ٤ ص ٤.

٧٢- المصدر نفسه ص ١٦٩.

٧٣- المصدر نفسه جـ ٣ ص ١٢٠.

٧٤- المصدر نفسه ص ٢٩٩.

٧٥- المصدر نفسه ص ٣١٢.

٧٦- المصدر نفسه ص ٣٥٧.

٧٧- المصدر نفسه ص ١٥٩.

٧٨- المصدر نفسه ص ٢٧.

٧٩- المصدر نفسه جـ ٤ ص ١٥١.

٨٠- المصدر نفسه جـ ٣ ص ٥.

٨١- المصدر نفسه جـ١ ص ٣٤٢.

٨٢- المصدر نفسه جـ ٢ ص ٢٤٢.

٨٣- المصدر نفسه ص ٣٥٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٨٤- المصدر نفسه جـ ٤ ص ٢٥١.

٨٥- المصدر نفسه جـ ٣ ص ١٠٩.

٨٦- المصدر نفسه ص ٢٨٨.

٨٧- المصدر نفسه جـ ٤ ص ١٧٥.

٨٨- المصدر نفسه جـ ٣ ص ٣٩٣.

٨٩- المصدر نفسه جـ ٢ ص ٦٢.

٩٠- المصدر نفسه ص ٣٠٢.

٩١- المصدر نفسه ص ٣٧.

٩٢- المصدر نفسه جـ ٤ ص ١٨٨، ١٨٩.

٩٣- المصدر نفسه جـ ٣ ص ٣٢٤.

٩٤- المصدر نفسه جـ ١ ص ٢٢٧.

٩٥- المصدر نفسه ص ٤.

٩٦- المصدر نفسه ص ٦.

٩٧- المصدر نفسه جـ ٣ ص ٧٣.

٩٨- المصدر نفسه ص ١٩٤.

٩٩- المصدر نفسه جـ ١ ص ٣٢٩.

١٠٠- المصدر نفسه جـ ٢ ص ٢٠.

١٠١- المصدر نفسه ص ٨١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٠٢- المصدر نفسه ص ٣٥٩.

١٠٣- المصدر نفسه جـ ٣ ص ٢١٦.

١٠٤- المصدر نفسه ص ٣٤٣ ب ١٨.

١٠٥- المصدر نفسه ص ٤٣ ب ١، وجـ ٣ ص ٣٧١ ب ٢٨: ٣٠.

١٠٦- المصدر نفسه جـ ٤ ص ١٤٣.

١٠٧- المصدر نفسه ص ٣٠: ٣٢.

١٠٨- المصدر نفسه جـ ١ ص ٩٤.

١٠٩- المصدر نفسه والصحيفة.

١١٠- المصدر نفسه ص ٢١٣.

١١١- المصدر نفسه ص ٢١٥.

١١٢- المصدر نفسه ص ٢١٦.

١١٣- المصدر نفسه جـ ٢ ص ١٤٨.

١١٤- المصدر نفسه جـ ٣ ص ٤٧.

١١٥- المصدر نفسه جـ ٢ ص ١٥٨.

١١٦- المصدر نفسه جـ ٤ ص ١٧٩.

١١٧- المصدر نفسه ص ٢٤٥.

١١٨- المصدر نفسه جـ ٣ ص ٢٨٨.

١١٩- المصدر نفسه جـ ٤ ص ٢٦١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٢٠- المصدر نفسه ص ٢٣١.

١٢١- المصدر نفسه جـ ١ ص ٢٤٥، ٢٤٦.

١٢٢- المصدر نفسه جـ ٢ ص ١٣٧، ١٣٨.

١٢٣- المصدر نفسه ص ٣٧٣.

١٢٤- المصدر نفسه جـ ٤ ص ١٨. وصدره: " والنَّقْعُ يَأْخُذُ حَرَّانًا وبَقْعَتَها

١٢٥- المصدر نفسه جـ ٢ ص ١٣٧.

١٢٦- المصدر نفسه ص ٩٨.

١٢٧- المصدر نفسه جـ ٤ ص ٢٥٧.

١٢٨- المصدر نفسه ص ٣٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإفراط والغلو

١- ديوان أبي الطَّيِّبِ الـمُتَنَبِّي بشرح أَبِي البَقَاءِ العَكْبَرِيِّ جـ ١ ص ٧.

٢- المصدر نفسه جـ ٤ ص ١١.

٣- المصدر نفسه جـ ٣ ص ١٣٣.

٤- المصدر نفسه ص ٢٢٦.

٥- المصدر نفسه ص ٢٢٠.

٦- المصدر نفسه ص ٢٢٩.

٧- المصدر نفسه جـ ٤ ص ٢٠٨.

٨- المصدر نفسه ص ٢٥٦.

٩- المصدر نفسه جـ ٣ ص ٢٧٩.

١٠- المصدر نفسه جـ ٤ ص ٨٤.

١١- المصدر نفسه ص ٩٠.

١٢- المصدر نفسه ص ٨٦.

١٣- المصدر نفسه جـ ٢ ص ٣٣٨، ٣٣٩. وفيه: " أبدًا " بدلاً من " أحدًا ".

١٤- المصدر نفسه ص ١٢١، ١٢٢.

١٥- المصدر نفسه جـ ٣ ص ١٨٣، ١٨٤.

١٦- المصدر نفسه جـ ٢ ص ٣٧٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٧- المصدر نفسه ص ١٤٣.

١٨- المصدر نفسه جـ ١ ص ٣٣٧.

١٩- المصدر نفسه جـ ٣ ص ١٦١.

٢٠- المصدر نفسه جـ ١ ص ٩.

٢١- المصدر نفسه جـ ٢ ص ١٠.

٢٢- المصدر نفسه ص ٢١٩.

٢٣- المصدر نفسه جـ ٣ ص ٢٣١.

٢٤- المصدر نفسه جـ ٢ ص ٢٤٠.

٢٥- المصدر نفسه جـ ٣ ص ٢٨٥.

٢٦- المصدر نفسه جـ ٤ ص ٨٠.

٢٧- المصدر نفسه جـ ١ ص ٢٧.

٢٨- المصدر نفسه ص ٥٣.

٢٩- المصدر نفسه جـ ٣ ص ٣٦٤.

٣٠- المصدر نفسه جـ ١ ص ٢٦٤.

٣١- المصدر نفسه جـ ٤ ص ٩٩.

٣٢- المصدر نفسه ص ٦٢.

٣٣- المصدر نفسه ص ٢١٧.

٣٤- المصدر نفسه ص ٢٠١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣٥- المصدر نفسه ص ١٩٩.

٣٦- المصدر نفسه ص ٢٧٧.

٣٧- المصدر نفسه ص ٣١.

٣٨- المصدر نفسه جـ ٣ ص ٢٤٤.

٣٩- المصدر نفسه جـ ٤ ص ٢٠٥.

٤٠- المصدر نفسه ص ٢٢٦.

٤١- المصدر نفسه جـ ٣ ص ٢٥٧.

٤٢- المصدر نفسه جـ ٢ ص ٢٤٦.

٤٣- المصدر نفسه جـ ٤ ص ١٧٣.

٤٤- المصدر نفسه جـ ٢ ص ٢٤٢.

٤٥- المصدر نفسه ص ٢٦٥.

٤٦- المصدر نفسه جـ ١ ص ١٠.

٤٧- المصدر نفسه جـ ٢ ص ٣٤٩.

٤٨- المصدر نفسه جـ ١ ص ١٧١.

٤٩- المصدر نفسه ص ١٥٦.

٥٠- المصدر نفسه جـ ٤ ص ٢٤٧.

٥١- المصدر نفسه جـ ٢ ص ١٢٦.

٥٢- المصدر نفسه ص ١٣٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٥٣- المصدر نفسه جـ ٢ ص ٨٦.

٥٤- المصدر نفسه جـ ٣ ص ١٣٢.

٥٥- المصدر نفسه جـ ٢ ص ٨٧.

٥٦- المصدر نفسه جـ ٣ ص ١٢٨.

٥٧- المصدر نفسه جـ ٢ ص ١١٩.

٥٨- المصدر نفسه جـ ١ ص ٧.

٥٩- المصدر نفسه جـ ٣ ص ٦٦.

٦٠- المصدر نفسه جـ ٤ ص ١٠٠.

٦١- المصدر نفسه جـ ٣ ص ٣٨٢.

٦٢- المصدر نفسه ص ٣٥١.

٦٣- المصدر نفسه ص ٣٩٣.

٦٤- المصدر نفسه ص ١٩٣.

٦٥- المصدر نفسه جـ ٢ ص ٢٦٣.

٦٦- المصدر نفسه جـ ١ ص ٣٧٨.

٦٧- المصدر نفسه جـ ٣ ص ٢١٢.

٦٨- المصدر نفسه ص ٣٨٢.

٦٩- المصدر نفسه ص ٣١١.

٧٠- المصدر نفسه ص ٣٠١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٧١- المصدر نفسه ص ٣٢٤. وصدره: "بالأنف لا بالشنف والخلخال".

٧٢- المصدر نفسه ص ٣٣٦.

٧٣- المصدر نفسه جـ ٢ ص ٨.

٧٤- المصدر نفسه جـ ٣ ص ٣٣١.

٧٥- المصدر نفسه ص ٣٤٧.

٧٦- المصدر نفسه جـ ٤ ص ٢٦٧.

٧٧- المصدر نفسه جـ ٢ ص ١٨١.

٧٨- المصدر نفسه ص ٢٠٠.

٧٩- المصدر نفسه ص ١٣٧.

٨٠- المصدر نفسه ص ٦٣.

٨١- المصدر نفسه ص ٢٩٨.

٨٢- المصدر نفسه ص ٣٤٥.

٨٣- المصدر نفسه جـ ٤ ص ٥٦.

٨٤- المصدر نفسه جـ ٣ ص ٧.

٨٥- المصدر نفسه ص ٣٢.

٨٦- المصدر نفسه جـ ١ ص ٦٢.

٨٧- المصدر نفسه جـ ٣ ص ٣٨.

٨٨- المصدر نفسه ص ٢٥٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٨٩- المصدر نفسه جـ ٤ ص ٢٩.

٩٠- المصدر نفسه جـ ٢ ص ٢٥٥.

٩١- المصدر نفسه ص ١١٠.

٩٢- المصدر نفسه جـ ٤ ص ٢٠٤.

٩٣- المصدر نفسه جـ ٢ ص ٩٤.

٩٤- النور – من الآية ٣٥.

٩٥- ديوان أبي الطَّيِّبِ الـمُتَنَبِّي بشرح أَبِي البَقاءِ العَكْبَرِيِّ جـ ٢ ص ٨١.

٩٦- المصدر نفسه ص ٩٩.

٩٧- المصدر نفسه ص ٩٧.

٩٨- المصدر نفسه جـ ٣ ص ٣٠٦.

٩٩- المصدر نفسه جـ ٢ ص ٢١٣. وفي " الصبح المنبي " – ص ٢٤٢ – منسوبًا إليه:

كأنَّما النَّاسُ مَخْلُوقُونَ مِن ظُلَمٍ وَأَنْتَ وَحْدَكَ مَخْلُوقٌ مِن النُّورِ.

١٠٠- ديوان أبي الطَّيِّبِ الـمُتَنَبِّي بشرح أَبِي البَقاءِ العَكْبَرِيِّ جـ ١ ص ٣٥١.

١٠١- المصدر نفسه جـ ٣ ص ١٦٨.

١٠٢- المصدر نفسه ص ٣٩٨.

١٠٣- المصدر نفسه جـ ٤ ص ٤.

١٠٤- المصدر نفسه جـ ١ ص ٧٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٠٥- المصدر نفسه جـ ٢ ص ٣٧٤.

١٠٦- المصدر نفسه جـ ١ ص ٧٩. وانظر: جـ ٣ ص ٣٤١ ب ٣٨، ٣٩.

١٠٧- المصدر نفسه جـ ١ ص ٣٧١. وانظر: ص ٨٤ ب ٣٤، جـ ٢ ص ١١٣ ب١٦.

١٠٨- المصدر نفسه جـ ١ ص ٣٦٣.

١٠٩- المصدر نفسه جـ٤ص ٥٥. وانظر: جـ١ص٨٢ ب٢٩، ص ٨٧ ب ٥، ص ٨٨ ب ١٠، ص ٢٦٤ ب ١٤.

١١٠- المصدر نفسه جـ ١ ص ١٠٢.

١١١- المصدر نفسه جـ ٣ ص ١٨٥. وانظر: جـ ٢ ص ١٥ ب ٢١.

١١٢- المصدر نفسه جـ ٤ ص ٢٧٤.

١١٣- المصدر نفسه جـ ٣ ص ٤٠.

١١٤- المصدر نفسه جـ ٢ ص ٢٢٩.

١١٥- المصدر نفسه ص ٢٣١.

١١٦- المصدر نفسه جـ ٤ ص ٦٩.

١١٧- المصدر نفسه جـ ٢ ص ٣٤٠.

١١٨- المصدر نفسه جـ ٣ ص ٣٦١.

١١٩- المصدر نفسه جـ ١ ص ٣٧٨.

١٢٠- المصدر نفسه جـ ٤ ص ٥٣.

١٢١- المصدر نفسه جـ ٣ ص ١٣٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٢٢- المصدر نفسه جـ ١ ص ٣٥٨. وانظر: ص ٧٠ ب ٣.

١٢٣- المصدر نفسه جـ ٢ ص ٣٨٠.

١٢٤- المصدر نفسه جـ ٣ ص ٢٤.

١٢٥- المصدر نفسه ص ٢٣١.

١٢٦- المصدر نفسه جـ ٣ ص ١٨٨.

١٢٧- المصدر نفسه ص ٢٢٧.

١٢٨- المصدر نفسه ص ٢٤٦.

١٢٩- المصدر نفسه جـ ١ ص ٨٢.

١٣٠- المصدر نفسه جـ ٢ ص ٢٣١.

١٣١- المصدر نفسه جـ ١ ص ١١٢.

١٣٢- المصدر نفسه جـ ٢ ص ٢٦٣.

١٣٣- المصدر نفسه جـ ١ ص ١٨٧.

١٣٤- المصدر نفسه ص ١٣٣.

١٣٥- المصدر نفسه ص ٢٥٤.

١٣٦- المصدر نفسه جـ ٣ ص ١١٩.

١٣٧- المصدر نفسه جـ ١ ص ١٩.

١٣٨- المصدر نفسه جـ ٤ ص ٢٨٧.

١٣٩- المصدر نفسه جـ ١ ص ٢٩٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٤٠- المصدر نفسه ص ١٩٩.

١٤١- المصدر نفسه ص ١٥٤.

١٤٢- المصدر نفسه جـ ٤ ص ٢٠١.

١٤٣- المصدر نفسه والصحيفة.

١٤٤- المصدر نفسه ص ٢٠٢.

١٤٥- المصدر نفسه جـ ٤ ص ٢٠٨.

١٤٦- المصدر نفسه والصحيفة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الرمز والخيال المركب

١- ديوان أبي الطَّيِّبِ الـمُتَنَبِّي بشرح أبي البَقاءِ العَكْبَرِيِّ جـ١ ص ١٩٢.

٢- المصدر نفسه ص ٢٦٨.

٣- المصدر نفسه ص٤.

٤- المصدر نفسه ص ٢٤٧.

٥- المصدر نفسه جـ٢ ص ٣٨٧.

٦- المصدر نفسه ص ٣٨٨.

٧- المصدر نفسه ص ٣٤٩.

٨- المصدر نفسه جـ١ ص ٢٩٦.

٩- المصدر نفسه جـ٢ ص ١٢٤.

١٠- المصدر نفسه ص ١٣٤.

١١- المصدر نفسه جـ٣ ص ٢١٠.

١٢- المصدر نفسه جـ٤ ص ٣٧.

١٣- راجع ديوانه بشرح العَكْبَرِيِّ جـ٢ ص ٣٥٠ (رقم ١٥٧)، ص ٣٥١ (رقم ١٥٩)، ص ٣٨٣ (رقم ١٦٩)، جـ٤ ص٤٦ (رقم ٢٣٦)، ص ١١٨ (رقم ٢٤٦)، ص ٢٣٢ (رقم ٢٧٢).

١٤- ديوان أبي الطَّيِّبِ الـمُتَنَبِّي بشرح أبي البَقاءِ العَكْبَرِيِّ جـ٢ ص ٣٥٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٥- المصدر نفسه ص ٣٥١.

١٦- المصدر نفسه جـ١ ص ٣١٨.

١٧- المصدر نفسه والصحيفة.

١٨- المصدر نفسه جـ٢ ص ١٤٥.

١٩- المصدر نفسه ص ١٩٣.

٢٠- المصدر نفسه جـ٤ ص ٢٥٦.

٢١- المصدر نفسه جـ٣ ص ٢١٠.

٢٢- المصدر نفسه ص ٥٧.

٢٣- المصدر نفسه جـ ٢ ص ٣١٨.

٢٤- المصدر نفسه جـ ٣ ص ٣٥٨.

٢٥- المصدر نفسه ص ٣٩٠.

٢٦- المصدر نفسه جـ ٤ ص ١٧٦.

٢٧- المصدر نفسه ص ٤٩.

٢٨- المصدر نفسه والصحيفة.

٢٩- المصدر نفسه جـ٣ ص ٢٨٩، ٢٩٠.

٣٠- المصدر نفسه جـ ٢ ص ١٠٦.

٣١- المصدر نفسه ص ١١٠.

٣٢- المصدر نفسه ص ١٨٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣٣- المصدر نفسه ص ١٩٩.

٣٤- المصدر نفسه جـ٣ ص ٣٢.

٣٥- المصدر نفسه جـ٢ ص ١٠٤.

٣٦- المصدر نفسه جـ١ ص ١٧٠.

٣٧- المصدر نفسه والصحيفة.

٣٨- المصدر نفسه جـ٢ ص ١٣٠.

٣٩- المصدر نفسه جـ٣ ص ٣٨٣.

٤٠- المصدر نفسه جـ٢ ص ٤٦.

٤١- المصدر نفسه جـ١ ص ٩٢.

٤٢- المصدر نفسه ص ١٨٢.

٤٣- المصدر نفسه جـ٢ ص ٣١٤.

٤٤- المصدر نفسه جـ٣ ص ٢٧٠.

٤٥- المصدر نفسه والصحيفة.

٤٦- المصدر نفسه جـ٤ ص ١٥٣.

٤٧- المصدر نفسه جـ١ ص ١٧٣ ب ٣٢، ص ١٩٦ ب ٢٦، جـ٢ ص ٢٦ ب ٢٩، ص ٤٥ ب ٢٤، ص ٢٠١ ب ٢٨، ص ٢٣٢ ب ٤٢، ص ٣٢١ ب ١٢، ص ٣٧١ ب ٣٧، جـ٣ ص ٨ ب ٢٣، جـ٤ ص ١٧ ب ٣٦، ص ١٦٩ ب ١٥، ص ٢٣٦ ب ١٣: ١٥، ص ٢٣٨ ب ٢١، ص ٢٥٦ ب ٢٢،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ص ٢٨٣ ب ٦. وانظر الصبح المنبي ص ٤٥٧ وما بعدها، وشرح المشكل ص ٢٧٤، ٢٧٧.

٤٨- ديوان أبي الطَّيِّبِ الـمُتَنَبِّي بشرح أبي البَقاءِ العَكْبَرِيِّ جـ٢ ص ٢٤٤.

٤٩- المصدر نفسه جـ٣ ص ٣٩٧.

٥٠- المصدر نفسه جـ٤ ص ٦٨.

٥١- المصدر نفسه والصحيفة. وفي شرح المشكل – ص٨٣-: " أغرب بذلك؛ لأن البنات مولودة، ولا تلد إلا الرحم، فهذه ذات بنات بغير رحم ولدتهن. وعنى بالبنات سمكها؛ كأنه لما رُبِّينَ فيهاواغتذين صرن لها بنات ".

٥٢- ديوان أبي الطَّيِّبِ الـمُتَنَبِّي بشرح أبي البَقاءِ العَكْبَرِيِّ جـ٤ ص ١٧٠.

٥٣- المصدر نفسه جـ٢ ص ١٥٨.

٥٤- المصدر نفسه جـ١ ص ٣٠١.

٥٥- شرح المشكل ص ٢٧.

٥٦- ديوان أبي الطَّيِّبِ الـمُتَنَبِّي بشرح أبي البَقاءِ العَكْبَرِيِّ جـ١ ص ٣٦٦.

٥٧- شرح المشكل ص ١٠١.

٥٨- ديوان أبي الطَّيِّبِ الـمُتَنَبِّي بشرح أبي البَقاءِ العَكْبَرِيِّ جـ٢ ص ٣٤٧.

٥٩- شرح المشكل ص ٦٩، ٧٠.

٦٠- الصبح المنبي ص ٣٧٣.

٦١- المصدر نفسه ص ٣٧٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٦٢- ديوان أبي الطَّيِّبِ الـمُتَنَبِّي بشرح أبي البَقاءِ العَكْبَرِيِّ جـــ٢ ص ٢٤٧ ب ٢٨.

٦٣- المصدر نفسه جـــ١ ص ٣٤ ب ١٥.

٦٤- المصدر نفسه جـــ٢ ص ١٤٥ ب ٢.

٦٥- المصدر نفسه ص ١٤٨ ب ٣.

٦٦- المصدر نفسه جـــ٣ ص ٨٥ ب ٣٩.

٦٧- المصدر نفسه ص ١٩٤.

٦٨- المصدر نفسه جـــ٢ ص ١٧٣.

٦٩- المصدر نفسه ص ١٧.

٧٠- المصدر نفسه جـــ٣ ص ٢٣٦.

٧١- المصدر نفسه والصحيفة.

٧٢- المصدر نفسه جـــ١ ص ٣١٣.

٧٣- المصدر نفسه ص ٣٦٢.

٧٤- المصدر نفسه جـــ٢ ص ١٢٥ ب١٠.

٧٥- المصدر نفسه ص ١٢١ ب٢٦.

٧٦- المصدر نفسه جـــ٣ ص ١٦٨ ب ١٤.

٧٧- المصدر نفسه ص ١٩٥ ب ١٥.

٧٨- المصدر نفسه جـــ٢ ص ٣٧١ ب ٣٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٧٩- المصدر نفسه جـ٣ ص ٢١٩ ب ٣٩.

٨٠- المصدر نفسه جـ ٤ ص ١٠ ب ١٦.

٨١- المصدر نفسه جـ٢ ص ١٣٦.

٨٢- المصدر نفسه ص ١٨٢.

٨٣- المصدر نفسه ص ٢٥٢.

٨٤- المصدر نفسه ص ٢٨١.

٨٥- المصدر نفسه جـ٣ ص ٢٣.

٨٦- المصدر نفسه ص ٢٧٨.

٨٧- ومن نماذجه كذلك: جـ٢ ص٩٧ ب٣، ص٢٨٤ ب١٠، جـ٣ ص٢٦ ب٢، ص٢٩ ب٣٥، ص٣٢ ب٤٥، جـ٣ ص١٨٦ ب١٧، ص٢٩٧ ب٣١، ص٣٤٣ ب١، جـ٤ ص٦٧ ب٣٥، ص٢٧٧ ب٣٣.

٨٨- المصدر نفسه جـ٢ ص١٣٧.

٨٩- وعنه يقول الشيخ يُوسُفُ البَدِيعِيُّ – في كتابه " الصبح المنبي " ص٤١٦-: " ومن بدائعه حسن التشبيه بغير أداة ". وقد أفرد له جزءًا خاصًا، عرض فيه شواهد كثيرة منه للاستدلال.

٩٠- ديوان أبي الطَّيِّبِ المُتَنَبِّي بشرح أبي البَقاءِ العَكْبَرِيِّ جـ٢ ص ٤٦.

٩١- المصدر نفسه جـ٢ ص٥٣.

٩٢- المصدر نفسه ص٨١.

٩٣- المصدر نفسه ص٩٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٩٤- المصدر نفسه ص٩٧.

٩٥- المصدر نفسه ص١٣٢.

٩٦- المصدر نفسه ص١٤٨.

٩٧- المصدر نفسه ص١٠٨.

٩٨- المصدر نفسه ص٢٢٢ ب٦.

٩٩- المصدر نفسه ص١٦٢ ب١٠.

١٠٠- المصدر نفسه ص٣٧٤ ب١.

١٠١- المصدر نفسه ص٣٩٣ ب٣١.

١٠٢- المصدر نفسه ص٣٩٠ ب١٦.

١٠٣- المصدر نفسه جـ٣ ص٩٩ ب١٤.

١٠٤- المصدر نفسه ص١١٢ ب١.

١٠٥- المصدر نفسه ص٤٨ ب١٧.

١٠٦- المصدر نفسه ص٣٩٤ ب٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٤

الإغراب اللغوي

* " لم أجد – فيما قرأت – شاعرًا يُغرب في لغته إغراب الـمُتَنَبِّي ". ملاحظة سجلتها وأنا أقرأ – للمرة الأولى– شعره، ولم أكن أدرك – في ذلك الزمن البعيد– سر هذا الإغراب، ولا أجد تفسيرًا له إلا رغبة صاحبه – كما ذكر القدماء– في إثبات معرفته الدقيقة باللغة لينال إعجاب العلماء؛ كنِفْطَوَيْه وابن خالَوَيْه وأبي عَلِيٍّ الفارِسِيِّ وأبي الطَّيِّبِ اللُّغَوِيِّ وغيرهم ممن يكتظ بهم قصر الإمارة في حلب، وينتزع اعتراف الخواص بتميزه عن غيره من الشعراء، وكان – كما ذكروا– عالمًا بدقائق اللغة، جامعًا – كهؤلاء العلماء– لشواردها وشواذها. وحين أعدت قراءة هذا الشعر – مع الزمان– مرات تبين لي أن كلف الـمُتَنَبِّي بالإغراب لم يكن وقفًا – في الحق– على السيفيات، وأنه كان يصاحبه مع خطواته الأولى في قرض الشعر، وظل يلازمه حتى غاضت فيه الأنفاس. واقرأ – إن شئت– ما قاله في حضرة كافُور – في مصر– أو عَضُدِ الدَّوْلَةِ– في بغداد – أو الصّاحِبِ– في بلاد الفرس– لتتأكد معي من هذا الزعم، فلم يعد يقنعني – كما أقنعني قديمًا– هذا التفسير الواحد الساذج البسيط، ووجدت حين أمطت اللثام عن أثر الصوفية في شعر الـمُتَنَبِّي وعلاقته – على ما يتبدى الأمر– بهم ما قد يكمله – أزعم– ويزيح السذاجة عنه؛ فالصوفيون لهم لغة تتعالى– في أبسط ما توصف به– على الأفهام، ومصطلحات لا يدركها حق الإدراك إلا الصوفية أنفسهم، ورموز وإشارات يكتنفها غير قليل من الغموض والإبهام، والإغراب – وقد كلف الـمُتَنَبِّي به– لا ينفك يلازم أشعارهم ويغلف ما وصل إلينا عنهم من مأثور الأقوال.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١- ديوان أبي الطَّيِّبِ الـمُتَنَبِّي بشرح أبي البَقاءِ العَكْبَرِيِّ جـ١ ص ١٩٢.

٢- الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص ٣٢١.

٣- شعر أبي الطَّيِّبِ الـمُتَنَبِّي بشرح أبي البَقاءِ العَكْبَرِيِّ جـ٣ ص ١٨٢.

٤- المصدر نفسه جـ١ ص٣٥٣.

٥- المصدر نفسه ص١٤٧.

٦- المصدر نفسه جـ٢ ص١٢٣.

٧- المصدر نفسه جـ١ ص٢١٩ ب٤.

٨- المصدر نفسه جـ٣ ص٢٨٢ ب٢٤.

٩- المصدر نفسه ص٧٥ ب٢.

١٠-المصدر نفسه جـ٢ ص١٠٦ ب٣٠.

١١-المصدر نفسه جـ١ ص٣٧٢ ب١.

١٢-المصدر نفسه جـ٣ ص٢١٥ ب٢٤.

١٣-المصدر نفسه جـ٤ ص١٣٠ ب٢٨.

١٤-المصدر نفسه ص١٥٢ ب٧.

١٥-المصدر نفسه جـ١ ص٣٧٤ ب٦، جـ٣ ص٢٦٠ ب٤٠.

١٦-المصدر نفسه جـ٣ ص٢٦٢ ب٢.

١٧-المصدر نفسه جـ٢ ص١٠٦ ب٣١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٨-جـ١ ص٤٢ ب٢٥، جـ٢ ص٤١ ب٨، ص٤٦ ب٢٩، ص١٠٦ ب٣١، ص١٢٣ ب٢، ص١٣٧ ب٢، ص١٩٣ ب٣. وانظر: الصبح المنبي ص٣٩٠، وشرح المشكل ص ٧٤.

١٩-الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص٣٢١.

٢٠-ديوان أبي الطَّيِّبِ المُتَنَبِّي بشرح أبي البَقاءِ العَكْبَرِيِّ جـ٤ ص٢٠٦. ونحوها- في حذفه للياء- " اللاء " - يريد اللائي- وقد اختلف العلماء فيه. جـ٣ ص٢٥١ ب٥.

٢١-المصدر نفسه جـ١ ص٣٢.

٢٢-المصدر نفسه جـ٢ ص٨٩. وانظر - في تخريجه لهذا الحذف - شرح المشكل ص ١٨٧.

٢٣-ديوان أبي الطَّيِّبِ المُتَنَبِّي بشرح أبي البَقاءِ العَكْبَرِيِّ جـ١ ص ٢٤٣.

٢٤-المصدر نفسه جـ٤ ص١٠٦.

٢٥-المصدر نفسه جـ١ ص١٢٤.

٢٦-المصدر نفسه جـ٣ ص١٧٣.

٢٧-المصدر نفسه ص١٨٢.

٢٨-المصدر نفسه جـ٢ ص٢٧٤. يمكن إعادة كتابة هذا البيت على نحو آخر، فلا يكون فيه - مع التصرف القليل- وصل لقطع أو قطع لوصل:

وَصَلَتْ إليكَ يَدٌ سَواءٌ عندها الـ بازِ الأُشَيْهِبُ والغُرابُ الأَبْقَعُ.

لكنه كان يعمد- كما ذكرت- إلى الإغراب فيه، ويتقي بإمكانية كتابته على أكثر من وجه سهام المتتبعين لسقطاته وهناته.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢٩-المصدر نفسه جـ٤ ص١٣٩.

٣٠-المصدر نفسه جـ١ ص١٣٢.

٣١-المصدر نفسه جـ٢ ص٣٩٧.

٣٢-المصدر نفسه ص٣٤٢ ب٣.

٣٣-المصدر نفسه ص٣٩٦ ب٤١.

٣٤-المصدر نفسه جـ٤ ص١٥٧ ب٩.

٣٥-المصدر نفسه ص٨٥.

٣٦-المصدر نفسه جـ٢ ص١٦٤.

٣٧-المصدر نفسه ص١٧٠ ب٣٩.

٣٨-المصدر نفسه جـ٣ ص٣٠٢ ب١١، ص٣١٦ ب٢١.

٣٩-المصدر نفسه ص٢٩١ ب١١.

٤٠-المصدر نفسه ص٣٠٧ ب٣٢.

٤١-المصدر نفسه جـ٢ ص١٧٩ ب١٦.

٤٢-المصدر نفسه جـ٢ ص٩ ب٣١، ص٤٢ ب١٢، ص١٣٤ ب١٠، ص١٥٨ ب٣٧، ص٢٢١ ب١، جـ٣ ص٤٥ ب٧، ص٣١٨ ب٣٢.

٤٣-المصدر نفسه جـ٤ ص٢٧٨.

٤٤-المصدر نفسه جـ١ ص٣٨٢.

٤٥-المصدر نفسه جـ٤ ص٢٧٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٤٦-المصدر نفسه جـ٢ ص٢٢٥.

٤٧-المصدر نفسه ص٨٩.

٤٨-المصدر نفسه جـ٤ ص٤٥.

٤٩-المصدر نفسه جـ٣ ص٧٠.

٥٠-المصدر نفسه ص٨٠.

٥١-المصدر نفسه ص ١٣٦.

٥٢-منها: جـ١ ص١٣٨ ب٣، جـ٢ ص٥٨ ب٤، ص١٣٢ ب١، ص٢٤٢ ب١٤، جـ٣ ص٢٤٩ ب١، ص٢٥٣ ب١، ص٢٥٦ ب٢٤، جـ٤ ص١١ ب١٩.

٥٣-المصدر نفسه جـ٣ ص٧٥.

٥٤-المصدر نفسه جـ٤ ص٦٧.

٥٥-ص٣٤.

٥٦-ديوان أبي الطَّيِّبِ الـمُتَنَبِّي بشرح أبي البَقاءِ العَكْبَرِيِّ جـ٣ ص ٢٦٧ ب٢.

٥٧-المصدر نفسه جـ٢ ص٢٠٢.

٥٨-الكهف – من الآية ٦٣.

٥٩-ديوان أبي الطَّيِّبِ الـمُتَنَبِّي بشرح أبي البَقاءِ العَكْبَرِيِّ جـ٤ ص ٢٤٣.

٦٠-المصدر نفسه ص٢٥٨.

٦١-المصدر نفسه جـ١ ص٣٤٢ ب٤، جـ٢ ص٨٢ ب٥.

٦٢-المصدر نفسه جـ١ ص٣٦٢ ب٢٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٦٣-المصدر نفسه جـ٤ ص٢٥٨ ب٢٨.

٦٤-المصدر نفسه جـ٢ ص٣٣٦ ب١٦.

٦٥-المصدر نفسه ص٣٢٥ ب٢٨، ص٣٤٤ ب٨، ص٣٥٥ ب١٥.

٦٦-المصدر نفسه جـ٢ ص٢٩٢ ب١.

٦٧-المصدر نفسه جـ١ ص٣٥ ب٢٠، ص٢٣٩ ب١٠.

٦٨-المصدر نفسه ص٦٢ ب١٩.

٦٩-المصدر نفسه ص١٢٢ ب١.

٧٠-المصدر نفسه ص١٦٩ ب١٤.

٧١-المصدر نفسه جـ٢ ص١٥٧ ب٣٣.

٧٢-المصدر نفسه ص١٦٢ ب١١.

٧٣-المصدر نفسه جـ٣ ص٢٦٥ ب٥.

٧٤-المصدر نفسه ص٢٨٢ ب٢.

٧٥-المصدر نفسه جـ٢ ص٧٠ ب٥.

٧٦-المصدر نفسه جـ٣ ص١٠٨ ب٥٤.

٧٧-المصدر نفسه جـ٢ ص٢٠ ب٧.

٧٨-المصدر نفسه جـ٣ ص١١٢ ب١.

٧٩-المصدر نفسه جـ١ ص٢٧٤ ب٢.

٨٠-المصدر نفسه جـ٣ ص٣٩٤ ب١٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٨١-المصدر نفسه ص٢٧٣ ب٣٢.

٨٢-المصدر نفسه جـ٢ ص٢٥٥ ب٢٦.

٨٣-المصدر نفسه ص٤٢ ب١٤.

٨٤-المصدر نفسه ص٨٨ ب١٣.

٨٥-المصدر نفسه جـ٤ ص٢٠٧ ب٣٨.

٨٦-المصدر نفسه جـ٢ ص١٤ ب١٣.

٨٧-المصدر نفسه جـ١ ص٣٠٢ ب١٥.

٨٨-المصدر نفسه جـ٢ ص٥٩ ب٢.

٨٩-المصدر نفسه جـ٣ ص١٢٧ ب١٣.

٩٠-المصدر نفسه جـ١ ص٢١٧ ب٣٤.

٩١-المصدر نفسه جـ٢ ص١٠٥ ب٢٧.

٩٢-المصدر نفسه جـ٣ ص٢٢٧ ب٢٥.

٩٣-المصدر نفسه جـ١ ص٢٣٢ ب٢٦. وانظر في تخريجه: شرح المشكل ص١٥٤.

٩٤-ديوان أبي الطَّيِّبِ المُتَنَبِّي بشرح أبي البَقاءِ العَكْبَرِيِّ جـ٣ ص ١٥٦ ب٣٠ .

٩٥-المصدر نفسه ص٢٣٤ ب٧.

٩٦-المصدر نفسه جـ١ ص٥٠ ب٥.

٩٧-المصدر نفسه جـ٣ ص١٩٤ ب١٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٩٨-المصدر نفسه ص٢٠٢ ب٢.

٩٩-المصدر نفسه جـ٤ ص٤ ب٣.

١٠٠-المصدر نفسه ص١٦٧ ب٧.

١٠١-المصدر نفسه ص٢١٦ ب٢٩.

١٠٢-المصدر نفسه جـ٢ ص٢٦٤ ب١٠.

١٠٣-المصدر نفسه جـ٤ ص٢٠١ ب٢٠.

١٠٤-المصدر نفسه ص٨٦ ب٢٢. وانظر: شرح المشكل ص٨٨.

١٠٥-ديوان أبي الطَّيِّبِ الـمُتَنَبِّي بشرح أبي البَقاءِ العَكْبَرِيِّ جـ٤ ص ٣٥ ب٢ .

١٠٦-شرح المشكل ص٢٥، ٤٨.

١٠٧-ديوان أبي الطَّيِّبِ الـمُتَنَبِّي بشرح أبي البَقـاءِ العَكْبَـرِيِّ جـ٤ ص ٢٢١ ب٤ .

١٠٨-المصدر نفسه ص٢٤٢ ب٢.

١٠٩-المصدر نفسه جـ٢ ص١٨٣ ب٣٦.

١١٠-المصدر نفسه جـ٤ ص٢٠٨ ب٢. وانظر: الصبح المنبي ص٣٦٥، ٣٦٦.

١١١-ديوان أبي الطَّيِّبِ الـمُتَنَبِّي بشرح أبي البَقـاءِ العَكْبَـرِيِّ جـ١ ص ٢٦١ ب١ .

١١٢-المصدر نفسه ص١٠ ب٧.

١١٣-المصدر نفسه ص٥٤ رقم ٢٦.

١١٤-المصدر نفسه جـ٣ ص٥٠ ب٢٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١١٥-المصدر نفسه ص٢٨٩ ب٢.

١١٦-المصدر نفسه جـ١ ص١١٣ ب١٥.

١١٧-المصدر نفسه جـ٢ ص٤٣ ب١٧.

١١٨-المصدر نفسه ص١٦٦ ب١١.

١١٩-المصدر نفسه جـ٤ ص٣١ ب١٤.

١٢٠-المصدر نفسه جـ٢ ص٢٠٢ ب٢٩.

١٢١-المصدر نفسه جـ٣ ص٣١٢ ب٤.

١٢٢-المصدر نفسه جـ٢ ص٤٧ ب١.

١٢٣-المصدر نفسه جـ٣ ص١٦٠ ب٢.

١٢٤-المصدر نفسه جـ٢ ص٣٥٢ ب٥.

١٢٥-المصدر نفسه جـ٤ ص٢٧٥ ب٢٣.

١٢٦-المصدر نفسه جـ٣ ص٣٨٩ ب٣٣.

١٢٧-المصدر نفسه جـ٤ ص١٧ ب١١.

١٢٨-المصدر نفسه جـ٣ ص٢٦٢ ب٣.

١٢٩-المصدر نفسه جـ٢ ص١٩٧.

١٣٠-المصدر نفسه جـ٤ ص١١.

١٣١-المصدر نفسه جـ١ ص٢٤١.

١٣٢-المصدر نفسه ص٢٢٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٣٣- المصدر نفسه ص٢٧٧. ومثله جـ٣ ص١٨٤ ب١٠.

١٣٤- المصدر نفسه جـ٤ ص١٨. ومثله ص٢١ ب٢٥.

١٣٥- المصدر نفسه جـ٢ ص٢٤٢.

١٣٦- المصدر نفسه جـ١ ص٢٥٤.

١٣٧- المصدر نفسه ص١٦١. ومثله جـ١ص١١٤ب١٨، جـ٢ص١٩٥ب٨، جـ٣ ص٥٠ ب٢٤، جـ٤ ص١٠ ب١٧.

١٣٨- المصدر نفسه جـ٤ ص١٦٠.

١٣٩- المصدر نفسه ص٢٠٠.

١٤٠- المصدر نفسه ص٢٢.

١٤١- المصدر نفسه جـ٢ ص١٩٦.

١٤٢- المصدر نفسه جـ٤ ص٢٤٩.

١٤٣- المصدر نفسه جـ٤ ص١٠.

١٤٤- المصدر نفسه ص٢٧.

١٤٥- المصدر نفسه ص٤٠.

١٤٦- المصدر نفسه جـ٣ ص٢٣٨.

١٤٧- المصدر نفسه جـ١ ص٣١٠.

١٤٨- المصدر نفسه ص١٢.

١٤٩- المصدر نفسه ص٣٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٥٠-المصدر نفسه جـــ٢ ص٣٠٧ ب١١، ص٣٢٢ ب٢٠، جـــ٣ ص٢٦٣ ب٢٦، جـ٤ ص١٠٨ ب٢٩. وانظر: شرح المشكل ص ١٥٦.

١٥١-ديوان أبي الطَّيِّبِ الـمُتَنَبِّي بشرح أبي البَقاءِ العَكْبَرِيِّ جـ٢ ص ٢٩٥ ب٧، ص٣٤١ رقم١٥٦ ب١، ص٣٤٨ ب٢١، جـ٣ ص٣٦٦ ب١٣.

١٥٢-المصدر نفسه جـ١ ص٢٣٩ ب١١، ص٣٨١ ب٣٠، ص١٩ ب٢.

١٥٣-المصدر نفسه جـ٤ ص٩٠ ب٣٤.

١٥٤-المصدر نفسه جـ١ ص١٢.

١٥٥-المصدر نفسه جـ٢ ص١٦٠.

١٥٦-المصدر نفسه ص٢٦٥.

١٥٧-المصدر نفسه جـ٤ ص١١.

١٥٨-المصدر نفسه ص٥ ب٢.

١٥٩-المصدر نفسه ص٥٦.

١٦٠-المصدر نفسه جـ٢ ص١٨٥.

١٦١-المصدر نفسه ص٧٨.

١٦٢-المصدر نفسه جـ٣ ص١٤.

١٦٣-المصدر نفسه جـ٢ ص٢٤٠.

١٦٤-المصدر نفسه جـ٤ ص١٩١.

١٦٥-المصدر نفسه ص٢٠٧.

١٦٦-المصدر نفسه ص٢٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٦٧-المصدر نفسه جـ١ ص٣٥٣. وانظر: شرح المشكل ص٧٤.

١٦٨-مع الـمُتَنَبِّي ص١٤٥.

١٦٩-الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص٣١٦ هامش٢.

١٧٠-ديوان أبي الطَّيِّبِ الـمُتَنَبِّي بشرح أبي البَقاءِ العَكْبَرِيِّ جـ١ ص ١٨.

١٧١-الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص٣١٧.

١٧٢-ديوان أبي الطَّيِّبِ الـمُتَنَبِّي بشرح أبي البَقاءِ العَكْبَرِيِّ جـ٣ ص ٣٢٥.

١٧٣-المصدر نفسه ص٢٢١.

١٧٤-المصدر نفسه جـ٤ ص٥٨.

١٧٥-المصدر نفسه جـ١ ص٤٥.

١٧٦-المصدر نفسه ص٣٢٨.

١٧٧-المصدر نفسه ص٢٩٨.

١٧٨-المصدر نفسه جـ٢ ص٣٣٣. ومن نماذج الحذف كذلك في شعره: جـ١ ص٣٥٣ ب١، جـ٢ ص٥٨ ب١، ص٦٠ ب٤، ص٦٩ ب٣٧، ص٨٤ ب١١، ص١٥٦ ب٢٨، ص ١٦٢ ب١٠، ص١٦٤ ب١٥، ص٢٠٥ ب١، ص٢١٢ ب٢١، ص٢١٩ ب ٢، ص٢٣٧ ب٥، ٦، ص٢٣٩ ب١٢، ص٢٧٣ ب١٩، ص٢٨٢ ب١، ص٢٨٣ ب٥، ص٣١٢ ب٢٩، ص٣٨١ ب١، جـ٣ ص٣ ب٢، ص٤٥ ب٩، ص٢٢٩ ب٣٤، جـ٤ ص١٧ ب١٠، ص٩١ ب٣، ص١٥٩ ب٢١، ص١٨٣ ب٣٩.

١٧٩-المصدر نفسه جـ١ ص٢٠١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٨٠-المصدر نفسه ص٣٤٠.

١٨١-المصدر نفسه جـ٣ ص٢٢٩.

١٨٢-المصدر نفسه جـ٤ ص٧٩.

١٨٣-المصدر نفسه جـ١ ص٣١.

١٨٤-الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص٣١٩.

١٨٥-الوساطة ص٩٧.

١٨٦-الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص٣١٨.

١٨٧-يتيمة الدهر جـ١ ص١٤٥.

١٨٨-الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص٣١٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مصـــادر البحـــث ومراجعـــه

(أ)

١- الإبانة عن سرقات المتنبي للحميدى – إبراهيم الدسوقي البـــساطى – ط – دار المعارف – القاهرة سنة ١٩٦٩م .

٢- أبو الطيب المتنبي – جوزيف الهاشم – المكتبة التجارية – بيروت- ســنة ١٩٦١م.

٣- أبو الطيب المتنبي – فؤاد أفرام البستاني – ط ٧ – المكتبـــة الـــشرقية – بيروت سنة ١٩٧٤م.

٤- أبو الطيب المتنبي (حياته وخلقه وشعره وأسلوبه) محمد كمـــال حلمـــى- راجعه وعلق عليه : على أبو زيد – ط٢ – مكتبة سعد الدين – دمـــشق سنة ١٤٠٦هـــ و١٩٨٦م .

٥- أبو الطيب المتنبي (حياته وشعره)- سمير الصايم –دار الكرم –دمشق – بدون تاريخ .

٦- أبو الطيب المتنبي (دراسة في التاريخ الأدبي) – ريجس بلاشير – ترجمة : د.إبراهيم الكيلاني –منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي –دمشق سنة ١٩٧٥م .

٧- أبو الطيب المتنبي شاعر العروبة وحكيم الدهر –د .عبد العزيز الدسوقي – ط١ – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت سنة ٢٠٠٦م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٨- أبو الطيب المتنبي في آثار الدارسين – د. عبد الله الجبوري – منشورات وزارة الثقافة والفنون العراقية بغداد سنة ١٩٧٧م .

٩- أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين – د.مصطفى الشكعة – عالم الكتب – بيروت سنة ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م.

١٠- إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي – دار الشعب القاهرة – بدون تاريخ.

١١- أدب الدنيا والدين، لعلي بن محمد الماوردي – ت، مصطفي السقا – ط٣ – دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨م .

١٢- الأدب في التراث الصوفي – د. محمد عبد المنعم خفاجي – مكتبة غريب – القاهرة سنة ١٩٨٠ م.

١٣- الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان المسماه بالمآخذ الكتبة في المعاني الطائية لضياء الدين بن الأثير – ت .حفنى محمد شرف – ط ١ – مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة سنة ١٩٥٨م .

١٤- أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني – ت .محمود شاكر – دار المدني – جدة، سنة ١٩٩١م.

١٥- أسس النقد الأدبي عند العرب – د.أحمد أحمد بدوى – ط٣ –مكتبة نهضة مصر – القاهرة سنة ١٩٦٤م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٦- الأصالة في شعر المتنبي لأصولها الدماغية وجذورها الاجتماعية في ضوء فلسفة بافلوف)- نورى جعفر – مطبعة الزهراء – بغداد سنة ١٩٧٦م.

١٧- إصلاح المنطق لابن السكيت – ت . أحمد محمد شاكر، د عبد السلام هارون ت – ط٢ – دار المعارف – القاهرة سنة ١٩٦٤م.

١٨- أصول النقد الأدبي – أحمد الشايب ط١٠ – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة سنة ٢٠٠٤م .

١٩- الأعلام – خير الدين الزركلي – ط ٥ – دار العلم للملايين – بيروت، سنة ١٩٨٠م .

٢٠ – أعلام الأدبي العباسي – د. محمد رضوان الداية – مكتبة الفارابي – دمشق سنة ١٩٧١م .

٢١- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني – أشرف على تحقيقه :د. محمد أبو الفضل إبراهيم – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة سنة ١٩٩٢م.

٢٢- ألفاظ المتصوفة ومعانيهم – حُسن محمد الشرقاوى – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية، سنة ١٩٨٢م.

٢٣- الأمالى لأبي على إسماعيل بن القاسم القالي – منشورات محمد على بيضون النشار كتب السنة المحمدية – دار الكتب العلمية – بيروت سنة ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢٤- أمالي المرتضى لأبي القاسم على بن الحسين الموسوى – تحق . محمد أبو الفضل إبراهيم – دار الكتب العربي- القاهرة سنة ١٩٥٤م.

٢٥- الأمثال السائرة من شعر المتنبي للصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد – ت .محمد حسن آل ياسين – ط ١- مكتبة النهضة – بغداد سنة ١٩٦٥م.

٢٦- أمراء الشعر العربي في العصر العباسي – أنيس المقدسى –ط١٥- دار العلم للملايين بيروت سنة ١٩٨٣م.

٢٧- الإنصاف بذكر أسباب الخلاف لابن السيد البطليوسي – ت .د. محمد رضوان الداية –دار الفكر – دمشق سنة ١٩٧٣م.

٢٨- الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري – ت.محمد محيى الدين عبد الحميد – ط ٤- المكتبة التجارية الكبرى – القاهرة سنة ١٩٦١م .

(ب)

٢٩ – البداية والنهاية لابن كثير – تحق عبد الله التركي- ط١ – دار هجر – القاهرة سنة ١٩٩٩م .

٣٠- البديع لابن المعتز – تحق كراتشكوفسكي – دار الحكمة – دمشق – بدون تاريخ .

٣١- بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم – تحق .د. سهيل زكار –دمشق سنة ١٩٨٨م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣٢- بهجة المجالس وأنس المُجالس وشحذ الذاهن والهاجس لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البري النمري – تحق .محمد مرسى الخولي –ط٢ – دار الكتب العلمية – بيروت سنة ١٤٠٢هـ١٩٨٢م

(ت)

٣٣-تاريخ آداب العرب – مصطفي صادق الرافعي – ط ٤ – دار الكاتب العربي – بيروت سنة ١٣٩٤ -١٩٧٤م.

٣٤- تاريخ الأدب العربي – ريجس بلاشير –ترجمة :د. إبراهيم الكيلاني – منشورات وزارة الثقافة ولإرشاد القومي سنة ١٩٧٥م.

٣٥- تاريخ الأدب العربي – كارل بروكلمان – ترجمة :عبد الحليم النجار – ط٤ –دار المعارف – القاهرة سنة ١٩٧٧م.

٣٦- تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني –د.إبراهيم على أبو الخشب – الهيئة المصرية العامة للكتاب الإسكندرية –بدون تاريخ .

٣٧- تاريخ الإسلام السياسي د.حسن إبراهيم حسن –د٣ –مكتبة النهضة المصرية –القاهرة سنة ١٩٦٢م.

٣٨- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي – تحق. مصطفى عبد القادر عطا –ط١- دار الكتب العلمية –بيروت سنة ١٩٩٧م.

٣٩- تاريخ عصر الخلافة العباسية – د.يوسف العش، دار الفكر –دمشق سنة ١٤١٩ هـ١٩٩٨م .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٤٠- التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين للعكبري -تحق د.عبد الرحمن العثيمين ط١ - دار الغرب الإسلامي -بيروت سنة ١٩٨٦م.

٤١- تجربة المتنبي - صدقي إسماعيل -منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي -دمشق سنة ١٩٧٧م.

٤٢- التصوف الإسلامي - د. زكي مبارك - مطبعة الرسالة - القاهرة سنة ١٩٣٨م.

٤٣- التصوف والثورة الروحية في الإسلام -أبو العلا عفيفي - دار المعارف -القاهرة سنة ١٩٣٢م.

٤٤- التصوف عند العرب -جبور عبد النور - دار الكشاف -بيروت -دون تاريخ.

٤٥- التصوف في الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث -د. عبد الحكيم حسان -مكتبة الإنجلو المصرية القاهرة -بدون تاريخ .

٤٦- التطلع القومي عند المتنبي -جاسم محسن عبود - دار الحرية - بغداد سنة ١٩٧٦م.

٤٧- التعريفات لأبي الحسن على بن محمد بن على المعروف بالسيد الشريف - الدار التونسية للنشر -تونس سنة ١٩٧١م.

٤٨- التكملة وشرح الأبيات المشكلة من ديوان أبي الطيب المتنبي لأبي على الحسين بن عبد الله الصقلي المغربي - ت د.أنور أبو سويلم وآخرين - ط - دار عمار -عمّان سنة ١٩٨٥م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٤٩- تنبيه الأديب عما في شعر أبي الطيب من الحسن و المعيب لأبن بسّاكثير الحضرمي تحق . د.رشيد عبد الرحمن صالح -دار الحرية - بغداد سنة ١٩٧٦م.

(ث)

٥٠- ثقافة المتنبي وأثرها في شعره -هدي الأرناؤوطي - دار الثقافة والفنون -بغداد سنة ١٩٧٧م .

(ج)

٥١- جماليات الأسلوب (الصورة الفنية في الأدب العربي) - د.فايز الداية - ط٢ -دار الفكر -دمشق سنة ١٩٩٦م.

(ح)

٥٢ - الحرب في شعر المتنبي -د. محمود حسن عبد ربه أبو ناجى -ط٢ - دار الشروق -جدة سنة ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م.

٥٣- الحضارة العربية في القرن الرابع الهجري -آدم متز -ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة - ط ٤-مكتبة الخانجي -القاهرة سنة ١٩٦٧م.

٥٤- الحكمة في شعر المتنبي -د.حسن على فرعاوي -ط١ -دار عمان - عَمّان سنة ١٤٠٦ هـ١٩٨٦م.

٥٥- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني - دار الفكر -بيروت سنة ١٤١٦ هـ ١٩٩٦م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(خ)

٥٦- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي – ت د. عبد السلام هارون –ط ٢ –مكتبة الخانجي – القاهرة سنة ١٩٨٩م.

٥٧- الخصائص لابن جني – ت .محمد على النجار –دار الكتب المصرية – القاهرة سنة ١٣٧١هـ ١٩٥٢م .

(د)

٥٨- دلالة الألفاظ –إبراهيم أنيس –مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة سنة ١٩٦٣م .

٥٩-الدين والأخلاق في الشعر (النظرة الإسلامية والرؤية الجمالية) –د.محمد سعد فشوان –مكتبة الكليات الأزهرية –القاهرة سنة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

٦٠- ديوان ابن الفارض –ط١ –دار العلم العربي –حلب سنة ١٩٨٨م.

٦١- ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري – ت .مصطفى السقا إبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شبلي –دار المعرفة –بيروت –بدون تاريخ.

٦٢- ديوان شيخ شعراء العربية أبي الطيب المتنبي – ت.عبد المنعم خفاجي وسعيد جودة السحار وعبد العزيز شرف –مكتبة مصر – القاهرة سنة ١٩٩٤م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٦٣- ديوان المتنبي -إعداد :عبد الوهاب عزام – دار الزهراء -بيروت سنة ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

٦٤- ديوان المتنبي في العالم العربي وعند المستشرقين – ريجس بلاشير - ترجمة : د.أحمد أحمد بدوى -مكتبة نهضة مصر – القاهرة -دون تاريخ .

٦٥- ديوان المعاني لأبي هلال العسكري -ت .كرنكو -مكتبة القدسي - القاهرة سنة ١٣٥٢هـ

(ذ)

٦٦- ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام -عبد الوهاب عزام – ط ٣ – دار المعارف – القاهرة سنة ١٩٦٨م.

٦٧- ذم الدنيا لابن أبي الدنيا -ت محمد عبد القادر أحمد عطا -ط١ – مؤسسة الكتب الثقافية -بيروت سنة ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م.

(ر)

٦٨- رائد الدراسة عن المتنبي -كوركيس عواد وميخائيل عواد – دار الرشيد للنشر -بغداد سنة ١٩٧٩م.

٦٩- رسالة الغفران لأبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري -ت. د.عائشة عبد الرحمن -ط٧- دار المعارف -القاهرة سنة ١٩٨١م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٧٠- رسالة في قلب كافوريات المتنبي في المديح والهجاء لعبد الرحمن بن حسام الدين زادة الرومي -ت د. محمد يوسف نجم - ط ١ - دار الأمانة -بيروت سنة ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م.

٧١- الرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبي وساقط شعره لأبي على بن محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي - ت د. محمد يوسف نجم -دار صادر - بيروت سنة ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م.

٧٢- الرفض ومعانيه في شعر المتنبي -يوسف الحناشي -ط ٢ - الدار العربية للكتاب تونس سنة ١٩٩١م.

٧٣- الرمزية في الأدب العربي - درويش الجندي - مكتبة نهضة مصر - القاهرة سنة ١٩٥٨م .

٧٤- الزهد الكبير للبيهقي -ت . تقى الدين الندوي -لجنة التراث - أبو ظبي سنة ١٤٠١هـ ١٩٨١م .

٧٥- زيادات ديوان شعر المتنبي ٠عبد العزيز الميمني - المكتبة السلفية - القاهرة سنة ١٣٤٥هـ- ١٩٢٧م.

(س)

٧٦- سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون لابن نباته المصرى - ت د. محمد أبو الفضل إبراهيم - المكتبة المصرية - بيروت سنة ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٧٧- السرقات الأدبية في شعر المتنبي – على عبد الرازق السامرائي – مطبعة المعارف بغداد سنة ١٩٦٩م.

٧٨- سرقات المتنبي ومشكل معانيه لابن بسام النحوى – ت .محمد الطاهر بن عاشور –الدار التونسية –تونس سنة ١٩٧٠م.

٧٩- سير أعلام النبلاء للذهبي –ط٢ –مؤسسة الرسالة –بيروت سنة ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

٨٠- سيف الدولة الحمداني أو مملكة السيف ودولة الأقلام – د.مصطفي الشكعة –عالم الكتب – بيروت – بدون تاريخ .

٨١- سيف الدولة وعصر الحمدانيين –سامي الكيالي – دار المعارف – القاهرية سنة ١٩٥٩م.

٨٢- سيفيات المتنبي (دراسة نقدية للاستخدام اللغوي – سعاد عبد العزيز المانع – الناشر : عمادة شئون المكتبات –جامعة الرياض سنة ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

(ش)

٨٣-شاعرية المتنبي في نقد القرن الرابع الهجري – محي الدين صبحى – منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي – دمشق سنة ١٩٨٣م.

٨٤- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي – عبد الرحمن البرقوقي – دار الكتاب العربي –بيروت سنة ١٩٨٠م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٨٥- شرح ديوان الحلاج – د.كامل مصطفي الشبيبي –ط١ –مكتبة النهضة العربية بيروت سنة ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.

٨٦- شرح شعر المتنبي لأبي القاسم بن الأفليلي الأندلسي – ت د. مصطفي عليان ط ١ مؤسسة الرسالة – بيروت سنة ١٩٩٢م.

٨٧- شرح المشكل من شعر المتنبي لأبي الحسن على بن إسماعيل بن سيدة الأندلسي – ت .مصطفي السقا وحامد عبد المجيد –دار الكتب القاهرة سنة ١٩٩٦م.

٨٨- الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني – سعود محمود عيد أكابر – د١ مؤسسة الرسالة بيروت سنة ١٤٠١ هـ ١٩٨١م.

٨٩- الشعر في ظل سيف الدولة – درويش الجندي – ط١ – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة سنة ١٩٥٩م.

٩٠- الشعر والشعراء في العصر العباسي – د.مصطفي الشكعة – دار العلم للملايين –بيروت –بدون تاريخ .

(ص)

٩١- الصبح المتنبي عن حيتية المتنبي للشيخ يوسف البديعى – ت .مصطفى السقا ومحمد شتا وعبده زيادة عبده – ط٣ –دار المعارف – القاهرة سنة ١٩٩م.

٩٢- صورة المرأة في غزل أبي الطيب المتنبي –حسن محمد الشماع –دار العلوم –الرياض سنة ١٩٨٠م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٩٣- الصوفية في الإسلام -نيكلسون - ترجمة :نور الدين شربية - مكتبة الخانجي -القاهرة سنة ١٩٥١م.

(ض)

٩٤- ضرائر الشعر للقزاز - تحق محمد زغلول سلام ومحمد مصطفي هداره - منشأة المعارف - الإسكندرية سنة ١٩٩٤م.

(ط)

٩٥- الطبع والصنعة في الشعر - محمد الهبلوي - مكتبة النهضة المصرية القاهرة سنة ١٣٥٨هـ .

(ظ)

٩٦- ظاهرة التشاؤم في الشعر العربي من أبي العتاهية إلي أبي العلاء - عفيف عبد الرحمن دار العلوم -الرياض -سنة ١٩٨٣م.

(ع)

٩٧-العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب - ناصيف اليازجي - دار صادر -بيروت -بدون تاريخ.

٩٨- عصر الدول والإمارات (الشام) -د. شوقي ضيف - ط٣ -دار المعارف -القاهرة سنة ١٩٩٥م.

٩٩- العصر العباسي - د. شوقي ضيف -دار المعارف -القاهرة سنة ١٩٨٠م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٠٠- العقد الفريد لابن عبد ربه – ت .أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الإبياري – ط٣ لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة سنة ١٤٨٣ هـ ١٩٦٥م.

١٠١- عقلاء المجانين للحسن بن محمد النيسابوري – ت .وجيه الخوري – المطبعة العربية –القاهرة –بدون تاريخ.

١٠٢- علم البيان – د .عبد العزيز عتيق – دار النهضة العربية –بيروت سنة ١٤٠٥هـ –١٩٨٥م.

١٠٣- علم الدلالة –د. أحمد مختار عمر – دار العروبة –الكويت سنة ١٩٨٢م.

١٠٤- علم المعاني – د. عبد العزيز عتيق –دار النهضة العربية –بيروت سنة ١٤٠٥هـ –١٩٨٥م

١٠٥- العمدة من محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيرواني –تحق . محمد محيى الدين عبد الحميد –ط٤ –دار الجيل –بيروت سنة ١٩٧٢م .

١٠٦- العوامل السياسية في شعر أبي الطيب المتنبي –عصام السيوفي –ط ١ –دار الفكر اللبناني –بيروت سنة ١٩٨١م.

١٠٧- عيار الشعر لابن طباطبا العلوي – ت .طه الحاجري ومحمد زغلول سلام –المكتبة التجارية الكبري –القاهرة سنة ١٩٥٦م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(ف)

١٠٨-الفتح على أبي الفتح لابن فورجة محمد بن حمد بن محمد – ت .عبد الكريم الدجيلي –دار الحرية – بغداد سنة ١٩٧٤م.

١٠٩- الفتوة عند العرب أو أحاديث الفروسية المثل العليا .عمر الدسوقي .مكتبة نهضة مصر – القاهرة –بدون تاريخ.

١١٠- الفتوحات المكية لأبي عبد الله محمد بن على المعروف بابن عربي – دار صادر –بيروت –بدون تاريخ .

١١١- الفسر (شرح ابن جني الكبير على ديوان المتنبي) – تحق د. رضا رجب –ط١ – دار الينابيع – دمشق سنة ٢٠٠٤م.

١١٢- فضائح الباطنية لأبي حامد الغزالي –تحق . عبد الرحمن بدوى –دار الكتب الثقافية الكويت سنة ١٣٨٣هـ ١٩٦٤م.

١١٣- الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتي مطلع القرن الثاني عشر الهجري –د.كامل مصطفي الشيبي – ط١ مكتبة النهضة – بغداد سنة ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م.

١١٤- فن المتنبي بعد ألف عام –إبراهيم العريض –ط ١ دار العلم للملايين – بيروت سنة ١٩٦٢م.

١١٥- الفن ومذاهبه في الشعر العربي – –د.شوقي ضيف – ط ١٠ –دار المعارف –القاهرة سنة ١٩٧٨م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١١٦- فهم الاستعارة في الأدب (مقاربة تجريبية تطبيقية) جيراء ستين - ترجمة :محمد أحمد - المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة سنة ٢٠٠٥م.

١١٧- قرامطة العراق في القرنين الثالث والرابع الهجريين - محمد عبد الفتاح عليان - الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر -القاهرة سنة ١٩٧٠م.

١١٨- قصة المتنبي - أحمد الجندي - طلاس للدراسات والترجمة والنشر - دمشق - بدون تاريخ.

١١٩- قصيدة المديح عند المتنبي وتطورها الفني - د.أيمن محمد زكي العشماوي -دار النهضة العربية -بيروت سنة ١٩٨٣م.

١٢٠ - قضية عمود الشعر في النقد العربي (ظهورها وتطورها) - د. وليد قصاب -ط١ -دار الثقافة - الدوحة سنة ١٤١٢٢هـ ١٩٩٢م.

(ك)

١٢١- الكامل في اللغة والأدب للمبرد ت. د.محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاته - دار نهضة مصر- القاهرة سنة ١٩٨١م

١٢٢- اللمع للسراج الطوسى- ت.عبد الحليم محمود طه سرور -دار الكتب الحديثة -القاهرة بدون تاريخ.

١٢٣- ليس في كلام العرب لابن خالويه - ت .محمد أبو الفتوح شريف - مكتبة الشباب - القاهرة سنة ١٩٧٥م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(م)

١٢٤- المتنبي -زكي المحاسني -دار المعارف -القاهرة سنة ١٩٦١م؟

١٢٥- المتنبي الإنسان والشاعر - دار مصر للطباعة -القاهرة سنة ١٤١٢ هـ ١٩٩٢م.

١٢٦- المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث -د.محمد عبد الرحمن شعيب - ط٢ -دار المعارف -القاهرة سنة ١٩٦٩م.

١٢٧-المتنبي والتجربة الجمالية عند العرب -د.حسين الواد -ط١ -المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت سنة ١٩٩١م.

١٢٨- المتنبي (دراسة عامة) جورج عريب - ط٣ دار الثقافة -بيروت سنة ١٩٧٩م .

١٢٩- المتنبي (رسالة في الطريق إلي ثقافتنا) -محمود محمد شاكر - دار المدني بجدة -مكتبة الخانجي بالقاهرة سنة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

١٣٠ - المتنبي شاعر ألفاظه تتوهج فرساناً تأسر التاريخ - على شلق - مطبعة الشعب -بغداد سنة ١٩٧٨م.

١٣١- المتنبي فارس الفكر العربي - عبد المجيد لطفي -دار الحرية -بغداد سنة ١٩٧٧م.

١٣٢- المتنبي مالئ الدنيا وشاغل الناس - شفيق جبري - مطبعة ابن زيدون - دمشق سنة ١٣٤٩ هـ ١٩٣٠م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٣٣- المتنبي مالئ الدنيا وشاغل الناس (وقائع مهرجان المتنبي الذي أقامته وزارة الثقافة العراقية في بغداد من ٥إلي ١٠ تشرين الثاني ١٩٧٧م – دار الرشيد للنشر بغداد سنة ١٩٧٩ م.

١٣٤- المتنبي وأبو العلاء المعري (رؤية في الإبداع الأدبي) -. د.صالح حسن اليظي –دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية سنة ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠م.

١٣٥- المتنبي والثورة – أنعام الجندي – دار الفكر اللبناني – بيروت –بدون تاريخ.

١٣٦- المتنبي وشوقي – د. عباس حسن –ط٢ – دار المعارف – القاهرة سنة ١٩٧٣م.

١٣٧- المتنبي والقرامطة – محمد محمد حسين –ط١- دار الرفاعي –الرياض سنة ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

١٣٨- المثل السائر لضياء الدين بن الأثير – تحق.أحمد الحوفي وبدوى طبانة – دار نهضة مصر – القاهرة سنة ١٩٦٢م .

١٣٩- المحصول الفكري للمتنبي – سهيل عثمان ومنير كنعان –ط١ دار الإرشاد –بيروت سنة ١ذ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م.

١٤٠- المدخل إلي التصوف الإسلامي –أبو الفيض المنوفي –الدار القومية – القاهرة –بدون تاريخ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٤١- مدرسة الكوفة ومنهجها في اللغة والنحو – د.مهدي المخزومي – ط٢ – مكتبة الحلبي –القاهرة سنة ١٣٧٧هـ ١٩٥٨م.

١٤٢- مطالعات في الكتب والحياة –عباس محمود العقاد – ط٣ –دار الكاتب العربي –بيروت سنة ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م.

١٤٣- معاهد التضيص لعبد الرحيم بن أحمد العباس –ت محمد محيى الدين عبد الحميد – عالم الكتب –بيروت سنة ١٩٤٧م.

١٤٤- معجز أحمد لأبي العلاء المعري –تحق عبد المجيد دياب –دار المعارف –القاهرة سنة ١٩٨٦م.

١٤٥- معجم الأدباء لياقوت الحموي – تحق. إحسان عباس –ط ١ –دار العرب الإسلامي – بيروت سنة ١٩٩٣م.

١٤٦- المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم لأبي منصور الجواليقي – تحق .أحمد محمد شاكر دار الكتب المصرية –القاهرة سنة ١٩٦١م.

١٤٧- مع المتنبي –طه حسين –ط ١٢ – دار المعارف –القاهرة سنة ١٩٨٠م.

١٤٨- المقفي الكبير لتقى الدين المقزيزي – ت . محمد العلاوي –ط١ – دار الغرب الإسلامي –بيروت سنة ١٩٩١م.

١٤٩ – مكاشفة القلوب المقلوب إلي حضرة علام الغيوب لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي صححه : بهيج غزاوي –ط ٤ –دار إحياء علوم الدين – بيروت سنة ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٥٠ – الممتع في علم الشعر وعمله لعبد الكريم النهشلي – ت.د. منجي الكعبي – الدار العربية للكتاب –تونس لسنة ١٩٧٨م.

١٥١– منازل السائرين إلي الحق المبين لأبي إسماعيل الهروى بشرح عفيفي الدين سليمان بن على التلمساني – أعده للنشر :عبد الحفيظ منصور –دار التركي للنشر –تونس سنة ١٩٨٩م.

١٥٢– المتنظم لابن الجوزي – ت محمد عبد القادر عطا ومصطفي عطا –د ٢ –دار الكتب العلمية –بيروت سنة ١٩٩٥م.

١٥٣– المنصف لابن جني –تحق .إبراهيم مصطفي –مكتبة الحلبي –القاهرة سنة ١٩٦٠م.

١٥٤– المنصف في نقد الشعر لابن وكيع التنيسي – تحق. د.محمد يوسف نجم – دار صادر – بيروت سنة ١٩٩٢م.

١٥٥– من معجم المتنبي (دراسة لغوية تاريخية) –إبراهيم السامرائي – دار الحرية – بغداد سنة ١٩٧٧م.

١٥٦– منهاج البلغاء لأبي الحسن حازم بن محمد بن حسن القرطاجني – ت. محمد الحبيب بن الخوجة – ط٣ – دار الغرب الإسلامي –بيروت سنة ١١٩٨٦م.

١٥٧– المواقف لمحمدين عبد الجبار بن الحسن النفري – صححه : آرثر يوحنا – مكتبة المتنبي –القاهرة –بدون تاريخ .

١٥٨– الموشح للمرزباني – ت .على محمد البجاوي – دار نهضة مصر – القاهرة سنة ١٩٦٥م .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(ن)

١٥٩- نزهه الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات عبد الرحمن بن أبي الوفاء محمد الأنباري – ت. د.محمد أبو الفضل إبراهيم- دار نهضة مصر – القاهرة سنة ١٩٦٧م.

١٦٠- نسمات الأسحار في مناقب وكرامات الأولياء الأخيار لعلي بن عطية بن الحسن بن محمد الهيتي – ت.أحمد فريد – ط١ –دار الكتب العلمية – بيروت سنة ١٤٢١ هـ ٢٠٠١م.

١٦١- نصره الثائر على المثل السائر لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي – ت .د. إحسان عباس- دار صادر –بيروت – بدون تاريخ .

١٦٢- نظرة –إجمالية في حياة المتنبي – معروف الرصافي – مطبعة المعارف بغداد سنة ١٩٥٩م.

١٦٣- النظام في شعر المتنبي وأبي تمام للمستوفي – تحق .خلف رشيد نعمان – ط١ – دار الشئون الثقافية – بغداد سنة ١٩٨٩م.

١٦٤- النظرية الشعرية –جون كوين – :د. أحمد درويش –دار غريب – القاهرة سنة ٢٠٠٠م .

١٦٥- النقد الأدبي – د. محمد غنمي خلال –ط ٣ – دار الشعب –القاهرة سنة ١٩٦٤م.

١٦٦- نقد الشعر لقدامة بن جعفر – ت –د. محمد عبد المنعم خفاجي – دار الكتب العلمية بيروت – بدون تاريخ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٦٧- نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين أحمد النويري – دار الكتب المصرية –القاهرة سنة ١٩٦٠ م.

(و)

١٦٨- الواضح في مشكلات شعر المتنبي لأبي القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني – ت . محمد الطاهر بن عاشور –الدار التونسية للنشر ٠تونس سنة ١٩٦٨م.

١٦٩- الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي – تحق.د.إحسان عباس –دار صادر– بيروت –بدون تاريخ .

١٧٠- الوافي في العروض والقوافي للخطيب التبريزي – ت .د.فخر الدين قباوة – ط٤ –دار الفكر – دمشق سنة ١٩٨٦م.

١٧١- الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضى الجرجاني – –ت.د. محمد أبو الفضل إبراهيم وعلى محمد البجاوى – ط٣ – دار إحياء الكتب العربية – القاهرة –بدون تاريخ.

١٧٢- وفيات الأعيان لابن خلكان – ت. د.إحسان عباس –دار صادر –بيروت سنة ١٩٧٨م.

١٧٣- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لأبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري – ت. مفيد محمد قميحة –د١ –دار الكتب العلمية – بيروت سنة ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner